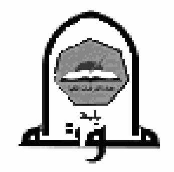


جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

أسلوب النداء في السور المكية

إعداد الطالب

عبد الرحمن بن أحمد المقري

إشراف

الأستاذ الدكتور يوسف القماز

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في اللغة العربية قسم اللغة العربية وآدابها

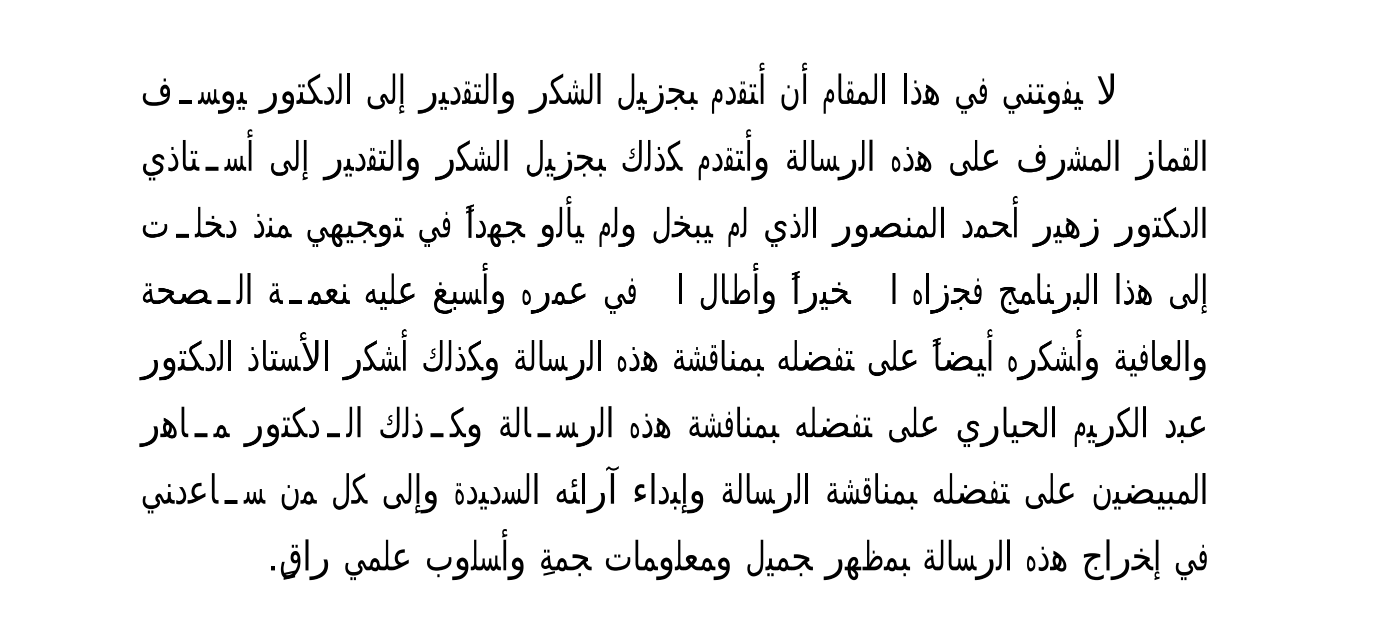
جامعة مؤتة، 2007

الإهداء

إلى والدتي العزيزة التي طالما سهرت الليالي وتفانت في خدمتي وإلى والدي العزيز الذي وقف معي في كل أزمة وشدة وإلى الأستاذ محمود أحمد سالم ميبة الذي لم يألو جهداً في إحضار المراجع إلي وتعاونه في تشجيعي على البحث والدراسـة أهدي هذا الجهد المتواضع.

عبد الرحمن المقري

الشكر والتقدير



لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الدكتور يوسف القماز المشرف على هذه الرسالة وأتقدم كذلك بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي الدكتور زهير أحمد المنصور الذي لم يبخل ولم يألو جهداً في توجيهي منذ دخلت إلى هذا البرنامج فجزاه ا خيراً وأطال ا في عمره وأسبغ عليه نعمة الصحة والعافية وأشكره أيضاً على تفضله بمناقشة هذه الرسالة وكذلك أشكر الأستاذ الدكتور عبد الكريم الحياري على تفضله بمنافشة هذه الرسالة وكذلك الدكتور ماهر المبيضين على تفضله بمناقشة الرسالة وإبداء آرائه السديدة وإلى كل من ساعدني في إخراج هذه الرسالة بمظهر جميل ومعلومات جمةٍ وأسلوب علمي راقٍ.

عبد الرحمن المقري

فهرس المحتويات

قائمة الملاحق

الملخص

أسلوب النداء في السور المكية

عبد الرحمن بن أحمد المقري

جامعة مؤتة، 2007

تناولت في هذه الرسالة أسلوب النداء في القرآن الكريم "دراسة تطبيقية في السور المكية".

حيث أنني عرضت فيه بتمهيد وبتعريف الأسلوب وتعريف السور المكية ثم تطرقت إلى الفصل الأول وعرضت فيه النداء عند النحويين وعرضت فيه تعريف النداء وحرف النداء واستعمالاتها وأقسام المنادى وتابع المنادى والمنادى المضاف إلى ياء المتكلم وكذلك الأسماء التي لازمت النداء والاستغاثة والمندوب والترخيم.

ثم تناولت النداء عند البلاغيين وأهم الأغراض التي تخرج إليها صيغ النداء، ومن ثم تحدثت عن محاور النداء في السور المكية وتطرقت فيه إلى نداء الأعلى للأدنى والأدنى للأعلى.

ومن بعد ذلك عرجتُ على بناء جملة النداء في السور المكية، وبين فيه المنادى المنصوب في هذه السورة المنادى المبني في محل نصب، وأعطيت أمثلة من الآيات في السور المكية وذيلته بعد ذلك بتوابع المنادى.

ثم تناولت أساليب بلاغية أخرى في السور المكية من حيث الحذف، وتعريفه لغة وبيان أسباب الحذف وفوائده في اللغة وذيلته بالحذف في جملة النداء تحدثت بعد ذلك عن أسلوب التكرار وتعريف التكرار وفوائد التكرار وأنواع التكرار وذيلته بالتكرار في جملة المنادى.

وأخيراً ذيلت البحث بإحصاء آيات النداء في السور المكية.

Abstract

الفصل الأول

النداء عند النحويين والبلاغيين

1.1 المقدمة

بسم ا الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

إن القرآن هو معجزة ا الخالدة التي ما زلنا نبحث فيها عن أسراره، فهو بحر لا ساحل له، مليء بالدرر، ولما كانت اللغة العربية هي التي نزل بها فأصبح الاهتمام بالنحو هو اهتمام بلغة القرآن؛ لذا فقد تناوله الباحثون بالدراسة جيلاً بعد جيل، وخلفاً بعد سلف، نذكر منهم على سبيل المثال: الباقلاني الذي ألف في إعجاز القرآن، وكذلك مصطفى صادق الرافعي في كتابه تحت راية القرآن، وكذلك إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.

والأعجاز البياني في القرآن الكريم، ومناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، والنبأ العظيم للدكتور عبد ا دراز، ومباحث في علوم القرآن للأستاذ مناع القطان، والإعجاز البياني في القرآن الكريم للدكتورة عائشة عبد الرحمن.

وقد تناول هؤلاء الدارسون القرآن الكريم وعكفوا عليه، فمنهم المفسر له والشارح لغريبه، والمعرب لمشكله، وبعضهم من تناول محكمه ومتشابهه، ومنهم من اهتم بالناسخ والمنسوخ كأضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي.

ولأهمية النداء وكثرة تكراره في القرآن، وتنوع أساليبه؛ اخترت أن يكون موضوع بحثي "**أسلوب النداء في السور المكية**".

فهذه دراسة مستوفاة لقضايا النداء في السور المكية، كشفتُ فيها النقاب عن أسرارها، وأمطتُ فيها اللثام عن أغوارها، أقدمها كأطروحة لاستكمال برنامج الماجستير، وقد حرصت على أن يكون للآيات المكية القدح المعلى، والنصيب الأوفر، وقد اختر الموضوع أن يكون السور المكية لأن النداء كان لمشركي مكة حيث فيه التذكير بيوم القيامة وما فيه من الأهوال والحساب وكذلك قصص الأنبياء والتي يشتمل معظمها على السور المكية حيث كانت فيها تسلية لرسول ا صلى ا

عليه وسلم وما لاقاه قومه من أجل الدعوة إلى ا وتثبيت العقيدة وعبره لنا وما لاقاه الأقوام السابقة عندما كفروا با ، وقد اعتمدت في دراستي على مراجع هامة؛ منها: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق دكتور أحمد محمد الخراط.

والمقرب لابن عصفور، والدرر اللوامع على همع الهوامـع شـرح جمـع الجوامع لأحمد بن الأمين الشنقيطي، وشرح التسهيل لابن مالك، وكذلك الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام أبو القاسم جار ا الزمخشري، وكذلك التحرير والتنوير لابن عاشور، وتيسير الكريم الـرحمن فـي تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي، وحاشية الخضري على شرح ابـن عقيل على ألفية ابن مالك، وشرح المفصل لابن يعيش وغيرهـا ومـن الدراسـات المعاصرة التي اعتمدت علمها المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم لعبد الفتـاح لاشين وكذلك من دوافع القرآن لمحمد سعيد البوطي.

وقد واجهتني مشاكل في هذا الموضوع <النداء في السور المكية> حيث إن الطريق لم تكن ممهدة أمامي مما أحوجني إلى تتبع الجزئيات البسيطة في النحو والبلاغة، ولكن ا قد وفقنا وسهل علينا ذلك الطريق لقوله عز وجل: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}(1) وأتبعت في هذه الرسالة على المنهج التكاملي.

فكتاب ا لا ينشغل به المؤمن إلا سهل ا له الطريق فـي فهـم أسـراره، ومعرفة أحكامه وشرائعه، وقد سرت في الدراسة على حسب الخطة التالية:

فهرست آيات النداء في السور المكية، ثم يعقب التمهيد فعرفت فيه الأسـلوب والسور المكية، ثم دخلت إلى صميم الموضوع، وهو النداء عند النحويين، وكـذلك البلاغيين، وهذا جعلته في الفصل الأول.

أما الفصل الثاني فقد تناولت محاور النداء في السور المكية وقـسمته إلـى مبحثين: المبحث الأول: نداء الأدنى للأعلى، والمبحث الثاني: الصادر من المخلوق الأدنى إلى الأعلى وفيه موضوعات.

---

(1)القمر: 17، 22، 32، 40.

وأما الفصل الثالث فكان في بناء الجملة الندائية في السور المكية، وفيه ثلاث مباحث: الأول عن المنادى المبني في محل نصب، والثاني المنـادى المنـصوب، والثالث توابع المنادى.

والفصل الرابع كان حول أساليب بلاغية أخرى في الـسور المكيـة، وفيـه مبحثان: الأول عن الحذف، والثاني عن أسلوب التكرار في القرآن الكريم.

تمهيد

تعريف الأسلوب:

يطلق الأسلوب في اللغة على الطريق الممتد، ويقال للسطر مـن النخيـل : أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب،والأسلوب الفن، يقال: أخذ فلان فـي أساليب من القول، أي أفانين منه.

أما الزرقاني فيقول في تعريف اللغوي: يطلق الأسلوب فـي لغـة العـرب إطلاقات مختلفة: فيقال للطريق بين الأشجار ، وللفن، وللوجه، وللمذهب، وللشموخ بالأنف، ولعنق الأسد. ويقال لطريقة المتكلم في كلامه أيضا، وأنسب هذه المعـاني بالاصطلاح الآتي هو المعنى الأخير، أو هو الفن أو المذهب لكن مع التقييد[1].

وفي اصطلاح البلاغيين: هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها، للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو هو العبارات اللفظية المنـسقة لأداء المعـاني، فالأسلوب القرآني: هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه[2].

يقول الزرقاني: "تواضع المتأدبون وعلماء العربية، على أن الأسـلوب هـو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.

أو: هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه.

([1])الزرقاني ، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ2، ص239 دار الكتاب العربي، طبعة1423هـ، تحقيق فواز أحمد زمرلي.

([2]) مسلم ، مصطفى، مباحث في إعجاز القـرآن، الطبعـة الثالثـة، دار القلم،دمـشق 2005، ص143.

أو: هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك"[1].

نستخلص من هذا أن مرادنا بأسلوب القرآن أي طريقته التي سار عليها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، فمن الطبيعي جدا أن يتميز كلام ا عن كلام خلقه، ويفوقهم في الأسلوب جودة وحسنا.

وعلى هذا فإن حديثنا عن أسلوب النداء، أي عن الطريقة التي انفرد بها القرآن وسار عليها في استعماله للنداء.

وكلام الناس يختلف ليس فقط في المفردات، فقد يستعملون نفس المفردات، ولكن الاختلاف بينهم في الطريقة التي ينتهجونها في تركيب المفردات، وتركيب الجمل، وهي التي تجعل لكل كاتب ولكل شاعر ميزته الخاصة، وطابعه الخاص، حتى إن بعض الناس يستطيع أن يتعرف على بعض الكتاب من خلال تعرفه على الأسلوب، فيسمع الكلام ويعرف الكاتب من دون أن يكون على علم بذلك، إلا أنه عرف أسلوبه وطريقته.

وقد تكلم العلماء عن أسلوب القرآن الكريم عموما وخصائصه التي تميزه عن غيره، حيث حاولوا أن يدركوا أبعاد هذا التأثير القرآني بأسلوبه الفريد، ولكنهم لم يعطوا إلا بعضا من كل، فالإحاطة بهذا مما لا يدخل في القوة البشرية.

يقول الزرقاني: "إن الخصائص التي امتاز بها أسلوب القرآن ، والمزايا التي توافرت فيه، حتى جعلت له طابعا معجزا في لغته وبلاغته، أفاض العلماء فيها بين مقل ومكثر، ولكنهم بعد أن طال بهم المطاف، وبعد أن دميت أقدامهم، وحفيت أقلامهم، لم يزيدوا على أن قدموا إلينا قلا من كثر، وقطرة من بحر، معترفين بأنهم عجزوا عن الوفاء، وان ما خفي عليهم فلم يذكروه أكثر مما ظهر لهم فذكروه، وأنهم لم يزيدوا على أن قربوا لنا البعيد، بضرب من التمثيل رجاء الإيضاح والتبيين، أما الاستقصاء والإحاطة بمزايا الأسلوب القرآني وخصائصه على وجه الاستيعاب، فأمر استأثر به منزله الذي عنده علم الكتاب"[2].

([1]) الزرقاني، مناهل العرفان ص239

([2]) الزرقاني، مناهل العرفان، جـ2، ص243.

وقد أورد بعضهم شبهة مفادها أن عجز الناس عن مجاراة أسلوب القرآن ليس خصوصية للقرآن، لأن أسلوب كل قائل صورة نفسه ومزاجه، فلا يستطيع غيره أن يحل محله.

والجواب، أن القرآن لم يطالبهم أن يجيئوا بنفس صورته الكلامية، بل طلب منهم كلاما أيا كان نمطه ومنهاجه، على النحو الذي يحسنه المتكلم أيا كانت فطرته ومزاجه، بحيث إذا قيس مع القرآن بمقياس الفضيلة البيانية، حاذاه أو قاربه في ذلك المقياس، وإن كان على غير صورته الخاصة، فالأمر الذي دعا إليه القرآن هو التماثل أو المقاربة فيه، وهذا هو القدر الذي يتنافس فيه البلغاء، وفيه يتماثلون أو يتقاربون.

ومثل ذلك، أنا إذا وجدنا قوما يستبقون إلى غاية محدودة وقد اتخذوا لذلك مجالا واسعا لا يزاحم بعضهم فيه بعضا، ولا يضع أحدهم قدمه على موضع أحد، بل جعل كل منهم يذهب في طريقه الخاص به موازيا لقرنه في المبدأ والوجهة، ثم يكون منهم الأول والثاني والثالث، ويكون منهم من لا حظ له في الرهان، وهكذا تراهم وهم مختلفين في المنازل يقع بينهم التماثل كما يقع بينهم التفاضل، بنسبة ما قطعه كل منهم من طريقه إلى الغاية المشتركة.

فكذلك المتنافسون في حلبة البيان يعمد كل منهم إلى الغرض من الطريق التي يرضاها، وعلى الوجه الذي يستمليه من نفسه، ثم يقع بينهم التماثل أو التفاضل على قدر ما يوفون من حاجات البيان أو ينقصون منها، وإن اختلفت المذاهب التي انتحاها كل منهم[1].

تعريف السورة المكية:

من المعلوم أن القرآن الكريم نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة.

وقد اختلفت المرحلة المكية بخصائصها وطبيعة المخاطبين فيها، عن الفترة المدنية، بخصائصها ومتطلبات الدولة الإسلامية آنذاك.

([1])الدخاخيني ،عبد المجيد، انظر: ما كتبه محمد عبد ا دراز في كتابه النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن. ص117-127 طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع.

لذا فإن القرءان المكي، اختلف في مضمون خطابه، وفي أسلوبه عن القرءان المدني، كما استعمل القرءان المكي لغة خطابية وعظية مختلفة عن الخطاب المدني الذي يميل إلى الخطاب التشريعي المراد منه توضيح الأحكام.

وقد اختلف العلماء في تعريف المكي والمدني علـى ثلاثـة أقـوال ذكرهـا الزركشي في البرهان حيث قال: "اعلم أن للناس في ذلك ثلاثة اصـطلاحات: الأول أن المكي ما نزل بمكة، والثاني المدني ما نزل بالمدينة .

والثاني - وهو المشهور - أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان بمكة . والثالث أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة ؛ وعليه يحمل قول ابن مسعود الآتي ؛ لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخوطبوا بـ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} وإن كان غيرهم داخلا فيهم، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا بـ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا..} أي وإن كان غيرهم داخلا فيهم.

وذكر الماوردي أن البقرة مدنية في قول الجميع إلا آية، وهي: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ}[1] فإنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى . انتهى . ونزولها هناك لا يخرجها عن المدني بالاصطلاح.

الثاني: أن ما نزل بعد الهجرة مدني سواء كان بالمدينة أو بغيرها . وقال الماوردي في سورة النساء: هي مدنية إلا آية واحدة نزلت في مكة في عثمان ابن طلحة حين أراد النبي ‘ أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة ويسلمها إلى العباس، فنزلت: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} والكلام فيه كما تقدم"[2].

وقال السيوطي في الإتقان: "اعلم أن للناس في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة أشهرها: أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها. سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار.

([1]) البقرة: 281.

([2]) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد ا ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة 1400هـ، طبع رئاسة إدارة البحوث العلميـة والإفتـاء بالـسعودية، جـ3 ص187-188. والآية من النساء: 58.

أخرج عثمان بن سعد الرازي بسنده إلى يحيى بن سلام قال: ما نزل بمكـة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي' المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي' في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني.

وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحا.

الثاني: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة. والمدني ما نـزل بالمدينـة. وعلى هذا تثبت الواسطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني.

وقد أخرج الطبراني في الكبير من طريق الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن ابن عامر عن أبي أمامة قال: قال رسول ا ': >أنزل القرآن في ثلاثة أمكنـة مكة والمدينة والشام< قال الوليد يعني بيت المقدس. وقال الشيخ عماد الـدين بـن كثير: بل تفسيره بتبوك أحسن.

قلت: ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل بمنى وعرفات والحديبيـة، وفـي المدينة ضواحيها كالمنزل ببدر وأحد وسلع.

الثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابـا لأهـل المدينة)[1].

وقد اختص المدني بعلامات والمكي بعلامات، تكلم العلماء عنها وأوضحوها، وقد ذكر الزركشي كثيرا من هذه العلامات وعزاها إلى أصحابها، يقول: "ومن جملة علاماته أن كل سورة فيها { يَا أَيُّهَا النَّاسُ} وليس فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا..} فهـي مكية، وفى الحج اختلاف . وكل سورة فيها " كلا " فهي مكية، وكل سـورة أولهـا حروف المعجم فهي مكية إلا البقرة وآل عمران، وفى الرعد خلاف . وكل سـورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة . وكل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية سوى العنكبوت.

وقال هشام عن أبيه: كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهـي مدنيـة، وكل ما كان فيه ذكر القرون الماضية فهي مكية.

([1])السيوطي ،جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، نشر دار الحـديث، القـاهرة، تحقيق: أحمد علي، طبعة 1425هـ ـ 2004م، جـ1 - ص 35 – 36.

وذكر ابن أبي شيبة في مصنفة في كتاب فضائل القرآن: حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال: كل شئ نزل فيه { **يا أَيها الناسُ**} فهو بمكة، وكل شئ نزل فيه {**يا أَيها الَّذِين آمنُوا..**} فهو بالمدينة؛ وهذا مرسل قد أسند عن عبد ا بن مسعود. ورواه الحاكم في مستدركه في آخر كتاب الهجرة عن يحيى بن معين، قال: حدثنا وكيع عن أبيه عن الأعمش وعن إبراهيم عن علقمة عن عبد ا بن مسعود به... وقد نص على هذا القول جماعة من الأئمة منهم أحمد بن حنبل وغيره، وبه قال كثير من المفسرين، ونقله عن ابن عباس . وهذا القول إن أخذ على إطلاقه ففيه نظر، فإن سورة البقرة مدنية، وفيها: {**يا أَيها الناسُ اعبُدُوا ربكُم..**} [1] وفيها: {**يا أَيها الناسُ كُلُوا مِما فِي الأَرضِ حلَالًا طَيبًا**}[2]. وسورة النساء مدنية، وفيها: {**يا أَيها الناسُ اتقُوا ربكُم..**}[3]، وفيها: {**إِن يشَأْ يذْهِبكُم أَيها الناسُ**}[4]. وسورة الحج مكية، وفيها: {**يا أَيها الَّذِين آمنُوا اركَعُوا واسجُدُوا**}[5] فإن أراد المفسرون أن الغالب ذلك فهو صحيح، ولذا قال مكي: هذا إنما هو في الأكثر وليس بعام، وفى كثير من السور المكية: {**يا أَيها الَّذِين آمنُوا..**} انتهى.

والأقرب تنزيل قول من قال: مكي ومدني؛ على أنه خطاب المقصود بـه أو جل المقصود به أهل مكة {**يا أَيها الَّذِين آمنُوا..**} كذلك بالنسبة إلى أهل المدينـة . وفى تفسير الرازي عن علقمة والحسن: أن ما في القرآن { **يا أَيها النـاسُ**} مكـي، وما كان {**يا أَيها الَّذِين آمنُوا..**} فبالمدينة، وأن القاضي قال: إن كان الرجوع فـي هذا إلى النقل فمسلم، وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف ؛ إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم واسمهم وجنسهم، ويـؤمر غيـر المؤمنين بالعبادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد منها انتهى"[6].

([1]) البقرة: 21.

([2]) البقرة: 168.

([3]) النساء: 1.

([4]) النساء: 133.

([5]) الحج: 77.

([6]) للزركشي، البرهان ، جـ1، ص 187 – 191.

كما نجد أن هناك مميزات وضوابط وضعها العلماء للسور المكية، وهذه المميزات هي[1]:

مميزات المكي:

1- كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

2- كل سورة فيها لفظ (كلا) فهي مكية، ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن وذكرت (33) مرة في خمس عشرة سورة.

3- كل سورة فيها {**يا أيها الناسُ**} وليس فيها: {**يا أيها الذين آمنُوا..**} فهي مكية إلا سورة الحج ففي أواخرها {**يا أيها الذين آمنُوا اركعُوا واسجُدُوا**}[2]. ومع ذلك فإن كثيراً من العلماء يرى أن هذه الآية مكية كذلك.

4- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية، سوى سورة البقرة.

5- كل سورة فيها آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة كذلك.

6- كل سورة تفتتح بحروف الهجاء كـ{**ألم**} و{**ألر**} و{**حم**}.. ونحو ذلك فهي مكية سوى الزهراوين ـ البقرة وآل عمران ـ واختلفوا في سورة الرعد.

هذا من ناحية الضوابط.

أما من ناحية المميزات الموضوعية، وخصائص الأسلوب فقد أجملها أيضاً الشيخ مناع القطان فيما يلي:

1- الدعوة إلى التوحيد، وعبادة ا وحده، وإثبات الرسالة وإثبات البعث والجزاء وذكر القيامة وهولها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية والآيات الكونية.

([1]) القطان ، مناع ، مباحث في علوم القرآن، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1419هـ. ص: 62-63.

([2]) الحج: 77.

2- وضع الأسس العامة للتشريع، والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع، وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء وأكل أموال اليتامى ظلماً ووأد البنات وما كانوا عليه من سوء العادات.

3- ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجراً لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم، وتسليةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى الانتصار عليهم.

4- قصر الفواصل مع قوة الألفاظ وإيجاز العبارة بما يصخ الأذان ويشتد قرعه على المسامع ويصعق القلوب، ويؤكد المعنى بكثرة القسم؛ كقصار المفصل إلا نادراً[1].

1 . 2 النداء عند النحويين

النداء لغة: هو الدعاء بأي لفظ كان.

وفيه لغات: أشهرها كسر النون مع المد، ثم مع القصر، ثم ضمها مع المد، واشتقاقه من ندى الصوت وهو بعده، يقال فلان أندى صوتاً من فلان إذا كان أبعد صوتاً منه.

1. 2. 1 تعريف النداء:

قال سيبويه: اعلم أن النداء كل اسم مضاف فيه، فهو نَصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره، والمفرد رفْع وهو في موضع اسم منصوب[2].

وقال الخضري في حاشيته على شرح ابن عقيل: طلب الإقبال بيا أو إحدى أخواتها[3].

---

(1) مسلم، مصطفى، مباحث في علوم القرآن، ص63..

(2) سيبويه ،الكتاب: 184/2. علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه/ إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ.

(3)الخضري ، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 166/2، شرحها وعلق عليها: تركي فرحان المصطفى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ. وينظر: لأشموني، حاشية الصبان على الأشموني 207/3، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. ابن يعيش ، شرح المفصل 127/1، عالم الكتب، بيروت.

واصطلاحاً: طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو ملفوظ به أو مقدر.

والمراد بالإقبال ما يشمل الإقبال الحقيقي، والمجازي المقصود به الإجابة كما في نحو: يا ا ، ولا يرد: يا زيد لا تقبل؛ لأن يا لطلب الإقبال لسماع النهي والنهي عن الإقبال بعد التوجه.

واعترض على نيابة حرف النداء عن أدعو بأن أدعو خبر والنداء إنشاء، وأجيب بأن أدعو نُقِل إلى الإنشاء، وإنما ينادي المميز، وأما نحو: يا جبال، ويا أرض، فقيل إنه من باب المجاز لتشبيه ما ذكر بالمميز في الانقياد واستعارته في النفس له على طريق الاستعارة بالكناية، ويا تخييل.

ولك أن تقول من الجائز أن ا خلق لما ذكر حال الخطاب تمييزاً فلم يقع النداء إلا لمميز، وهمزة النداء منقلبة عن واو مثل كساء، كما في الغزى.

1 .2. 2 حروف النداء واستعمالاتها:

حروف النداء ثمانية، وهي:

أولاً: (يا) وهي أم الباب، ويرى بعض النحاة كالزمخشري وابن مالك وابن هشام أنها تستعمل في نداء البعيد وموضوعة له، فإذا نودي بها القريب فلحرص المنادِي على إقبال المدعو عليه.

وذكر الرضي في شرح الكافية بأنها للبعيد والقريب على السواء[1].

وقال ابن مالك: هي للبعيد حقيقة أو حكماً كالنائم والساهي[2].

ثانياً: (أيا) وهي لنداء البعيد خلافاً للجوهري حيث قال في الصحاح بأنها لنداء

([1]) ينظر : الإستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن المتوفى سنة 686، شرح كافية ابن الحاجب، الجزء الأول، تحقيق: أحمد السيد أحمد، كلية العلوم، جامعة القاهرة، المكتبة التوفيقية.

([2]) ينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع 27/2 تحقيق: أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ-1998م.

القريب والبعيد[1].

قال الشاعر: أيا ظَبيةَ الوعساءِ بين جلاجِل – وبين النّقَا آأنتِ أمُ سالِمِ[2].

ثالثاً: (هيا) للبعيد. قال الشاعر:

هيا أم عمرو هل لي اليوم عندكم[3].

وهاء (هيا) أصل. وقيل: بدل من همزة (أيا) وعليه ابن السكيت، وجزم به ابـن هشام في المغني[4].

رابعاً: (أي) بالفتح والقصر والسكون، كقول كُثير غز:

ألم تسمعي أي عبد في رونق الضحى   بكاء حمامات لهن هديرو[5]

وقد اختلف فيها، فقال المبرد والجزولي: هي لنداء القريب.

وقال ابن مالك: هي لنداء البعيد، وقال ابن برهان: هي لنداء المتوسط.

خامساً: (أ) وهي الهمزة، والجمهور أنها لنداء لنداء القريب نحو قولـه امـرؤ القيس:

أفاطُم مهلاً بعض هذا التّدَلل[6].

([1])الجوهري ،الصحاح: ص609، المكتبة العصرية، صيدا، 1427هـ.

([2]) ذي الرمة ، البيت من الطويل، ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 94/1، والشنقيطي، أحمد أمين الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع 373/1 ، وضع حواشـيه: محمـد باسـل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، لبنـان، 1419هـ. السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 27/2.

([3]) البيت من الطويل، وعجزه: بغيبة أبصار الوشاة سبيل. وهو بلا نسبة فـي الـسيوطي، همـع الهوامع 27/2، والشنقيطي، الدرر اللوامع: 374/1.

([4])السيوطي، همع الهوامع: 27/2.

([5]) كثير، عزة، البيت من الطويل. وينظر: السيوطي، شـرح شـواهد المغنـي: 234/1 تعليـق وتصحيح الشيخ: محمد محمود الشنقيطي، لجنة التراث العربي. والـشنقيطي، الـدرر اللوامـع: 373/1، والسيوطي، همع الهوامع: 26/2.

([6]) امرئ، القيس، البيت من الطويل وعجزه: وإن كنت قـد أزمعـت صـرماً فـأجملي. ينظـر: السيوطي، شرح شواهد المغني: 20/1، والسيوطي، همع الهوامع: 26/2، والشنقيطي، الـدرر اللوامع: 372/1، وابن الشجري، الأمالي: 308/2 تحقيق ودراسة: محمـود محمـد الطنـاحي، مكتبة الخانجي، بالقاهرة.

الخباز أنها للمتوسط. قال ابن هشام في المغني: وهو خرق لإجماعهم.

سادساً: (آ) بالمد، وسابعاً: (آي) بالمد والسكون، وهما للبعيـد، وقـد حكاهمـا الكوفيون عن العرب الذين يثقون بعربيتهم.

وجعل ابن عصفور (آ) للقريب كالهمزة المقصورة[1].

وذكرهما ابن مالك في التسهيل[2].

سابعاً: (وا). والجمهور على أنها مختصة بالندبة، فلا تستعمل في غيرها نحـو: (وازيداه).

وحكى بعضهم أنها تستعمل في غير الندبة قليلاً كقول عمر بن الخطاب لعمـرو بن العاص: (واعجباً لك يا ابن العاص)[3].

وذكرها ابن عصفور في المقرب[4].

قال الشاعر: وافقعساً مني وأين مني فقعس[5].

1. 2. 3 أنواع المنادى:

قال ابن عقيل: (لا يخلو المنادى من أن يكون مفرداً، أو مضافاً، أو مشبهاً به.

فإن كان مفرداً فإما أن يكون معرفة أو نكرة مقصودة.

فإذا كان مفرداً معرفة أو نكرة مقصودة بني على ما كان يرفع به، فـإن كـان يرفع بالضمة بني عليها، نحو: (يا زيد)، و(يا رجلُ).

([1]) ابن عصفور، المقرب: 175/1 تحقيق: أحمد عبد الستار الجـواري وعبـد ا الجبـوري، مطبعة العاني، بغداد.

([2])الأندلسي، جمال الدين محمد بن عبد ا بن عبد ا بن مالك الطائي الجياني المتوفى 672هـ، شرح التسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طارق فتحـي السيد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية: 242/3.

([3]) السيوطي، همع الهوامع: 28/2.

([4]) ابن عصفور، المقرب: 175/1.

([5]) الرجز لرجل من بني أسد، وهو بلا نسبة في الدرر اللوامـع: 374/1، والـسيوطي، همـع الهوامع 28/1، والسيوطي، المطالع السعيدة في شرح الفريدة: ص369، تحقيق: نبهان ياسين حسين، ساعدت الجامعة المستنصرية على طبعه 1977م، دار الرسالة للطباعة، بغداد.

وإذا كان يرفع بالألف أو بالواو فكذلك، نحو: (يا زيدان) و(يا رجلان)، و(يـا زيدون) و(يا رجيلون).

ويكون في محل نصب على المفعولية؛ لأن المنادى مفعول بـه فـي المعنـى، وناصبه فعل مضمر نائب منابه، فأصل: (يا زيد) أدعو زيداً، فحذف (أدعو)، ونابت (يا) منابه)[1].

وأما النكرة غير المقصودة، والمضاف والشبيه بالمضاف فحكمها النصب.

فمثال النكرة غير المقصودة: قول الأعمى: (يا رجلاً خذ بيدي)، وقول الشاعر:

أيا راكباً إما عرضت فبلغاً   نداماي من نجران أن لا تلاقيا[2]

ومثال المنادى المضاف قولك: (يا طلاب العلم اجتهدوا).

ومثال الشبيه بالمضاف قولك: (يا طالعاً جبلاً)[3].

تابع المنادى:

إذا كان تابع المنادى المضموم مضافاً غير محلى بالألف واللام وجب نـصبه، نحو: (يا زيد صاحب عمرو).

وأما إذا لم يكن تابع المنادى مضافاً بل كان مفرداً أو أنه مضاف محلى بـالألف

([1]) شرح ابن عقيل: 236/2، عبد الحميد، محمد محيي الدين منحة الجليل بتحقيق شـرح ابـن عقيل المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. والخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل: 170/2، والرضي، شرح كافية ابن الحاجب 315/1، والأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: 21/3، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: حسن حمد. إشراف: إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. و عبـد، محمـد، النحـو المصطفى، مكتبة الشباب.

([2]) البيت من الطويل، وهو لعبد يغوث بن وقاص. ينظر: الخضري، حاشية الخـضري علـى شرح ابن عقيل: 172/2، وشرح ابن عقيل: 237/2، والأشموني، شرح الأشموني: 22/3.

([3]) ينظر: الأشموني، شرح الأشموني: 22/3-23، والسيوطي، المطالع الـسعيدة فـي شـرح الفريدة: ص369، وشرح ألفية ابن معطي: 1039/2، تحقيق ودراسة: علي موسى الشوملي، مكتبة الخريجي، ط1، 1405هـ. وابن هشام، الإفادة من حاشيتي الأمير وعبادة علـى شـرح شذور الذهب. تصنيف: محمد سيد كيلاني: ص177، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البـابي الحلبي وأولاده بمصر.

واللام فيجوز فيه الرفع والنصب. نحو: (يا زيد الكريمَ الأب) برفع الكريم ونصبه.

وحكم عطف البيان والتوكيد حكم الصفة، نحو: (يا رجل زيد وزيـداً) بـالرفع والنصب، و(يا تميم أجمعون وأجمعين)[1].

وأما عطف النسق والبدل ففي حكم المنادى المستقل، فيجب ضمه إن كان مفرداً مثل: (يا رجلُ زيد) و(يا رجلُ وزيد).

ويجب نصبه إن كان مضافاً نحو: (يا زيد أبا عبد ا) و(يا زيد وأبا عبد ا).

فعطف النسق إنما يجب ضمه إذا كان مفرداً معرفة غير محلى بالألف والـلام. فإن كان مصاحباً لـ(أل) يجوز فيه وجهان: أحدهما: الرفع، والثاني: النصب.

واختار ابن مالك الرفع، نحو: (يا زيد والغلام)[2]، ومنه قوله تعالى: {**يا جِبالُ أَوبي معهُ والطير** }[3].

ومن تابع المنادى ما يجب رفعه مراعاة للفظ المنادى، وهو نعت (أي) في التذكير، و(أية) في التأنيث، ونعت اسم الإشارة إذا كان اسم الإشارة وصلة لندائه، نحو قوله تعالى: {**يا أَيها الناسُ**}[4] و{**يا أَيتُها النفْسُ**}[5]، فـ(أي) و(أيةُ) مبنيان على الضم لكون كل منهما منادى مفرد، و(ها) التنبيه فيهما زائدة لازمة للفظ (أي) و(أيةُ) عوضاً عن المضاف إليه، مفتوحة الهاء، ويجوز ضمها إذا لم يكن بعدها اسم إشارة على لغة بني مالك من بني أسد[6].

([1]) ينظر: الأشموني، شرح الأشموني: 32/3، وشرح ابن عقيـل: 243/2-244، والاسـتراباذي، شرح كافية ابن الحاجب: 327/1، والخضري، حاشية الخضري: 177/2-178.

([2]) ينظر: الأزهري، خالد، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمـضمون التوضـيح فـي النحو، 229/2-231، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وابن مالك، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ: ص280، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعـة العاني، بغداد، 1397هـ.

([3]) سبأ: 10.

([4]) البقرة: 21، وكثير من الآيات.

([5]) الفجر: 27.

([6]) ينظر: باشا: شرح التصريح على التوضيح: 228/2، وأسرار النحو ص123، تحقيـق: أحمـد حسن حامد، منشورات دار الفكر، عمان، والأشموني، شرح الأشـموني: 33/3، وشـرح ابـن

فإن جعل اسم الإشارة وصلة لندائه وجب رفع المنادى كما يجب رفع صفة (أي) نحو: (يا هذا الرجل)، فإن لم يجعل اسم الإشارة وصلة لنداء ما بعده لم يجب رفـع صفته، بل يجوز الرفع والنصب.

وأما في نحو: (يا سعد سعد الأوس)، و:

يا تيم تيم عدي[1]

يا زيد زيد اليعملات[2]

يجب نصب الثاني لأنه في محل نصب ويجوز في الأول الضم والنّصب.

فإن ضم الأول كان الثاني منصوباً على التوكيد، أو على إضمار أعني، أو على البدلية، أو عطف البيان، أو على النداء. وإن نصب الأول فمـذهب سـيبويه أنـه مضاف إلى ما بعد الاسم الثاني وأن الثاني مقحم بين المـضاف والمـضاف إليـه. ومذهب المبرد أنه مضاف إلى محذوف مثل ما أضيف إليه الثاني، وأن الأصل: يـا تيم عدي تيم عدي، فحذف (عدي) الأول لدلالة الثاني عليه.

المنادى المضاف إلى ياء المتكلم:

إذا أضيف المنادى إلى ياء المتكلم فلا يخلو إما أن يكون صحيحاً أو معتلاً.

فإن كان معتلاً فحكمه كحكمه غير منادى.

وإن كان صحيحاً يجوز فيه ستة أوجه:

أحدها: حذف الياء، والاستغناء بالكسرة، نحو: (يا عبدِ)، وهذا هو الأكثر.

الثاني: إثبات الياء ساكنة، نحو: (يا عبدِي).

الثالث: قلب الياء ألفاً وحذفها والاستغناء عنها بالفتحة، نحو: (يا عبد).

الرابع: قلبها ألفاً وإبقاؤها وقلب الكسرة فتحة، نحو: (يا عبدا).

الخامس: إثبات الياء محركة بالفتحة، نحو: (يا عبدي)[1].

عقيل: 245/2.

([1]) هذا جزء من بيت، وتمامه: يا تيم تيم عدي لا أبا لكم – لا يلقينكم في سوأة عمر. وهو مـن البسيط لجرير. ينظر: شرح ابن عقيل: 247/2، والخضري، حاشية الخضري: 181/2.

([2]) هذا قطعة من بيت لعبد ا بن رواحة، وهو بكماله: يا زيد زيد اليعملات الـذبل – تطـاول الليل عليك فانزل. ينظر: شرح ابن عقيل: 248/2، والخضري، حاشية الخضري: 181/2.

السادس: حذف ياء المتكلم والاكتفاء من الإضافة بنيتها، وضم الاسم المضاف إلى الياء كما يضم المنادى المفرد، كقراءة (رب السجن أحب)[2].

المنادى المضاف إلى الياء إذا كان (الأب) و(الأم) فيه عشر لغات، الست المتقدمة وأربع لغات أخر هي:

1- يا أبتِ، ويا أُمتِ.

قال البصريون: أبدلت تاء التأنيث من ياء المتكلم، فالأصل: يا أبي، ويا أمي، فأبدلت التاء من الياء، وكسرت التاء؛ لأن الكسر عوض من الكسر الذي كان يستحقه آخر المضاف.

وقال الكوفيون: التاء للتأنيث، وياء الإضافة مقدرة بعدها، ولو كان الأمر لسمع: يا أبتي، ويا أمتي أيضاً.

وقد جاء (يا أبت) في القرآن الكريم في ثمانية مواضع.

2- يا أبتَ، ويا أمتَ. بفتح التاء، وهو الأقيس؛ لأن التاء بدل من ياء حركتها الفتح.

وقد قرأ ابن عامر وأبو جعفر: {**يا أبتَ**}[3] بفتح التاء في السور الأربع[4].

3- يا أبتُ، ويا أُمتُ. بضم التاء على التشبيه بنحو ثُبة وهبة. وقد أجاز الضم الفراء والنحاس، ومنعه الزجاج، ونقل عن الخليل أنه سمع من العرب من يقول: (يا أبتُ) و(يا أمتُ) بالضم[5].

4- يا أبتا، ويا أُمتَا. بالجمع بين التاء والألف، وهو جمع بين العوض

([1]) ينظر: بن يعيش، شرح المفصل: 11/2-12، وابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى: ص229-230، ومحيي الدين، محمد، سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

([2]) يوسف: 33.

([3]) يوسف: 4.

([4]) ففي سورة يوسف في الايتين (4-100) وأربعة في مريم الايات (42، 43، 44) وموضح في سورة القصص الاية26 وموضح في سورة الصافات الاية رقم102.

([5]) ينظر: الأشموني، شرح الأشموني: 45/3، وشرح التصريح على التوضيح: 334/2.

والمعوض، كقول رؤبة:

تقول بنتي قد أنى أناكا - يا أبتا علك أو عساكا[1].

وقد جعل بعض النحاة هذه اللغة مقصورة على الضرورة.

ونستخلص مما سبق ما يلي:

أن المنادى المضاف إلى الياء (الأب) أو (الأم) فيه عشر لغات، وهي:

1- يا أبِ، ويا أم.
2- يا أَبِي، ويا أُمي.
3- يا أَبِي، ويا أمي.
4- يا أبا، ويا أُما.
5- يا أب، ويا أُم.
6- يا أب، ويا أم.
7- يا أَبتِ، ويا أُمتِ.
8- يا أبتَ، ويا أُمتَ.
9- يا أبتُ، ويا أُمتُ.
10- يا أبتَا، ويا أُمتَا.

المنادى المضاف إلى مضاف إلى ياء المتكلم:

إذا كان المنادى مضافاً إلى مضافٍ إلى ياء المتكلم، نحو: يا صديق صديقي، ويا ابن أخي، فالقياس في ياء المتكلم أن لا تحذف.

ويستثنى من ذلك:

يا ابن أبي، ويا ابن عمي، ويا ابنة أمي، ويا ابنة عمي، ويا ابنت أبي، ويا ابنت عمي.

فقد ورد فيها أربعة أوجه وهي:

1- يا ابن أم، ويا ابن عم بالفتح، ويحتمل ذلك أمرين:

أحدهما: أن يكون الأصل: يا ابن أُما بالألف المنقلبة عن ياء المتكلم، ثم حـذفت الألف تخفيفاً.

والثاني: أنهما جعلا اسماً واحداً مركباً تركيباً مزجياً، وبني المجموع على الفتح.

2- يا ابن أُم، ويا ابن عم بالكسر، وقرئ في السبع: { **قَالَ يَا ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي**}[2] بفتح الميم وكسرها.

([1]) رؤبة، الرجز، ورد بلا نسبة في شرح التصريح على التوضيح: 235/2، وعبد الحميد، عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، دار الطلائع: 34/3، وابن يعيش، شرح المفصل: 12/2.

([2]) طه، الآية (94).

واختلف في توجيه الكسر على قولين:

أحدهما: أنه مما اجتزئ فيه بالكسرة عن ياء المتكلم المحذوفة. ولا تركيب في المنادى وإنما فيه إضافتان، فقد أضيف ابن إلى أم أو عم، وأضيف أم وعم إلى الياء، وهذا ظاهر مذهب الزجاج(1).

الثاني: أن يكون العرب قد ركبوا الاسم، ثم أضافوا المركب إلى الياء، وحذفوا الياء منه كحذفهم إياها من أحد عشر إذا أضافوه إليها، وأبقوا الكسرة دليلاً عليها، ففي المنادى إضافة واحدة.

وقد نقل أبو حيان هذا الرأي عن أصحابه في الارتشاف(2).

3- يا ابن أمي ويا ابن عمي بإثبات الياء: كقول أبي زبيد الطائي يرثي أخاه:

يا ابن أُمي ويا شُقيق نفسي   أنت خليتَني لِدهر شَدِيدِ(3).

4- يا ابن أما، ويا ابن عما، بقلب الياء ألفاً: كقول أبي النجم العجلي مخاطباً زوجته:

يا ابنةَ عما لا تلومي واهجعِي   ألم يكُن يبيض إن لم يصلع(4)

وقد قصر أكثر النحاة الوجهين الثالث والرابع على الضرورة(5).

ونستخلص مما سبق أن المنادى المضاف إلى مضاف لياء المتكلم ورد فيه أربعة أوجه وهي: يا ابن أم بالفتح، ويا ابن أم بالكسر، ويا ابن أمي بالياء، ويا ابن أما بالألف.

نداء اسم الله تعالى:

يجوز في نداء اسم الله خمسة أوجه:

---

(1) ينظر: كافية ابن الحاجب: 360/1-361.

(2) المرجع السابق، 1/ 391..

(3) ينظر: شرح المفصل: 12/2، وعدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك: 36/3، وشرح التصريح على التوضيح: 238/2.

(4) ينظر: أوضح المسالك: 37/3، وشرح التصريح على التوضيح: 238/2.

(5) ينظر: أوضح المسالك: 36/3، وشرح التصريح على التوضيح: 237/2.

1- (يا أ ُ) تدخل حرف النداء على اسم ا ، وتقطع الهمزة.

2- (يلله) بحذف ألف يا وألف أل.

3- (يا) بحذف همزة الوصل بالنظر إلى الأصل، وإبقاء ألف يا مع التقائها ساكنة مع اللام الأولى، إجراءً للمنفصل في كلمتين مجرى المتصل في كلمة واحدة.

4- وهو الأكثر (اللهم) بحذف حرف النداء وهو يا خاصة، وتعويض الميم المشددة عنه في آخر اسم ا [1].

أسماء لازمت النداء:

من الأسماء ما لا يستعمل إلا في النداء، نحو: (يا فُلُ) أي: يا رجل، و(يا لؤمان) للعظيم اللؤم، و(يا نومان) للكثير النوم، وهو مسموع.

وينقاس في النداء استعمال (فَعال) مبنياً على الكسر في ذم الأنثى وسبها من كل فعل ثلاثي نحو: (يا خباثِ)، و(يا فساقِ)، و(يا لكاعِ).

وكذلك ينقاس استعمال (فعال) مبنياً على الكسر من كل فعل ثلاثي، للدلالة على الأمر، نحو: (نزال)، و(ضرابِ)، و(قَتَال)، أي انزل، واضرب، واقتل.

وكثر استعمال (فُعل) في النداء خاصة مقصوداً به سب الذكور، نحو: (يا فُسق)، و(يا غُدر)، و(يا لُكع) ولا ينقاس ذلك[2].

الاستغاثة:

الاستغاثة هي: نداء من يخلص من شدة أو يعين على مشقة[3].

إذا استغيث اسم منادى وجب كون الحرف (يا)، وأن يكون الحرف (يا) مذكوراً، ويغلب جر المنادى بلام واجبة الفتح، كقول عمر ﵁: يا لَلهِ، فخفضه للتنصيص

([1]) ينظر: الأشموني ، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: 227/3 ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

([2]) ينظر: عباس حسن ، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة: 68/4-69، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية عشرة، وشرح ابن عقيل: 253/2-254، وأوضح المسالك: 37/2-48، وشرح التصريح على التوضيح: 231/2-242.

([3]) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: 243/2، وشرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ: ص286-288.

على الاستغاثة، وفتح اللام لوقوعه موقع المضمر لكونه منادى، وليحصل بذلك فرق بينه وبين المستغاث من أجله.

وإنما أعرب مع كونه منادى مفرداً معرفة لأن تركيبه مع اللام شبهاً بالمضاف.

قال الشاعر: يا لقومي ولا لأمثال قومي[1].

وتكسر لام المستغاث إذا كان معطوفاً ولم تعد معه (يـا)، ولام المـستغاث لـه مكسورة دائماً. كقول الشاعر: يا للكهول والشبان للعجب[2].

وأما إذا كان معطوفاً وأعيدت معه (يا) فتحت اللام نحو: (يا لزيد ويـا لعمـروٍ للمسلمين).

ويجوز أن لا يبدأ المستغاث باللام؛ فالأكثر حينئذٍ أن يختم بالألف، كقوله:

يا يزيدا لآملٍ نيلَ عز[3].

وقد يخلو المستغاث من اللام والألف فيعطي ما يستحقه لو كـان منـادى غيـر مستغاث، كقولك: (يا زيد لعمروٍ)، وكقول الشاعر:

ألا يا قومِ للعجب العجيب[4].

ويجوز نداء المتعجب منه فيعامل معاملة المستغاث من غير فرق. وهـو علـى قسمين:

أحدهما: أن يرى أمراً عظيماً فينادي جنسه كقولهم: (يا للماء)[5].

والثاني: أن يرى أمراً يستعمله فينادي من له نسبة إليه نحو: (يا للعلماء).

ونستخلص مما سبق أن الاستغاثة تتكون من مستغيث ومستغاث، وهو المنـادى

([1]) لم أقف على قائله، وعجزه: لأناسٍ عتوهم في ازدياد. ينظر: أوضح المسالك: 41/3، وشرح التصريح على التوضيح: 243/2، وحاشية الصبان: 256/3.

([2]) لم أقف على قائله، وهو من البسيط، وعجزه: يبكيك ناءٍ بعيد الدار مغترب. ينظر: أوضـح المسالك: 43/3، وحاشية الصبان: 257/3.

([3]) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: 244/2، وأوضح المسالك: 44/3، وحاشية الصبان: 259/3.

([4]) ينظر: حاشية الصبان: 259/3، وشرح التصريح على التوضيح: 244/2.

([5]) ينظر: السيوطي، همع الهوامع: 53/2.

المجرور بلام واجبة الفتح إلا إذا كان معطوفاً ولم تعد (يا) فتكسر، ولام المـستغاث له مكسورة دائماً.

1. 2. 4 المندوب:

الندبة هي: إعلان المتفجع باسم من فقده لموت أو غيبة.

ويختص من حروف النداء بحرفين: (وا) وهي الأصل، و(يا) ولا يـستعمل إلا عند أمن اللبس بالمنادى غير المندوب كأن يندب ميتاً اسمه زيد، وبحـضرتك مـن اسمه زيد.

حكم المندوب:

وحكم المندوب حكم المنادى من نصبه إذا كان مضافاً أو شبهه، نحو: (واعبـد ا)، (واضارباً زيداً).

وضمه إذا كان مفرداً، نحو: (وازيد).

ولا يندب المبهم من ضمير، واسم إشارة، وموصول، واسم جنس مفرد، ونكرة، فلا يقال: (وا أنتاه)، (وا هذاه)، (وا من ذهباه)، (وا رجلاه).

فإن كان اسم الجنس غير مفرد جاز نحو: (واغـلام زيـداه)، وكـذا إذا كـان للموصول صلة تعينه نحو: (وا من حفر بئر زمزماه)[1]، فإنه في شهرته بمنْزلة (وا عبد المطلباه) وذلك شاذٌ عند البصريين.

واتفق الجميع على منع ندبة الموصول المبدوء بـ(أل) وإن اشتهرت صلته فـلا يقال: (وا الذي حفر بئر زمزماه)؛ إذ لا يجمع بين حرف الندبة وأل.

الغالب في المندوب أن يختم بالألف إطالةً للصوت، كقول جرير:

وقمت فيه بأمر ا يا عمرا[2].

ويحذف ما قبلها إن كان ألفاً، كقولك: (واموساه)، فحذف ألف (موسـى)، وأتـي بالألف للدلالة على الندبة، أو كان تنويناً في آخر صلة أو غيرها، نحو: (وا من حفر بئر زمزماه)، ونحو: (يا غلام زيداه).

([1]) ينظر: السيوطي، همع الهوامع: 49/2.

([2]) البيت ينظر في: حاشية الصبان: 263/3، وشرح التصريح: 248/2.

وأما إذا كان آخر ما تلحقه ألف الندبة فتحة لحقته ألف الندبة من غير تغيير لها، فتقول: (وا غلام أحمداه)، وإن كان غير ذلك وجب فتحه إلاّ إن وقع في لبس. فمثال ما لا يوقع في لبس قولك: (وا غلام زيداه). ومثال ما يوقع في لبس نحو: (وا غلامهوه، واغلامِكيه)[1].

إذا ندب المضاف إلى ياء المتكلم على لغة من سكن الياء، قيل فيه: (واعبديا) بفتح الياء، وإلحاق ألف الندبة، أو (واعبدا) بحذف الياء، وإلحاق ألف الندبة.

وإذا ندب على لغة من يحذف الياء أو يستغني بالكسرة، أو يقلب الياء ألفاً، والكسرة فتحة، ويحذف الألف ويستغني بالفتحة، أو يقلبها ألفاً ويبقيها قيل: (واعبدا) ليس إلاّ.

وإذا ندب على لغة من يفتح الياء يقال: (واعبديا) ليس إلا[2].

والذي نستخلصه ونستنتجه مما سبق هو:

أنه إنما يجوز الوجهان: (واعبديا) و(واعبدا) على لغة من سكن الياء فقط.

الترخيم:

الترخيم هو: حذف بعض الكلمة على وجه مخصوص.

أنواعه ثلاثة، وهي: 1- ترخيم النداء. 2- ترخيم الضرورة. 3- ترخيم التصغير.

فأما الأول والثاني هما المذكوران في هذا الباب، وأما الثالث فسيأتي في باب التصغير وليس هنا موضعه.

حكم ترخيم المنادى وشروطه:

يجوز ترخيم المنادى -أي حذف آخره تخفيفاً- وذلك بشرط كونه معرفة؛ لأن المعارف كثر نداؤها فدخلها التخفيف بحذف آخرها، وخص الآخر لأنه محل

([1]) ينظر: الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب: ص68 وبذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل لأبي فراس النعساني الحلبي، قدم له وبوبه: علي بو ملجم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان. وحاشية الصبان: 3/262-263.

([2]) ينظر: الخضيري، حاشية الخضري: 2/194، وشرح التصريح على التوضيح: 2/250، وحاشية الصبان: 3/266.

للتغيير.

وبشرط كونه غير مستغاث مجرور باللام.

وأن لا يكون مندوباً، وأن لا يكون مركباً تركيباً إضـافياً ولا إسـنادياً، وأن لا يكون من الأسماء التي لازمت النداء، ذكره أبو حيان في شرح التسهيل[1].

ترخيم ذي التاء:

ما فيه تاء التأنيث يجوز ترخيمه مطلقاً، ولا يشترط في ترخيمـه علميـة، ولا زيادة على الثلاثة، بل يرخم وإن كان ثنائياً غير علم كقول بعض العرب: (يـا شـا ادجني) بحذف تاء التأنيث للترخيم، ولا يحذف منه بعد ذلك شيء آخر.

ثم إن كان المؤنث بالتاء علماً فلا خلاف في ترخيمه كقولهم في (هبة) مـسمى به: (يا هب أقبل)[2].

ترخيم المجرد من التاء:

يشترط في ترخيم المجرد من التاء ثلاثة شروط:

الأول: أن يكون رباعياً فأكثر.

الثاني: أن يكون علماً.

الثالث: أن لا يكون مركباً تركيب إضافةٍ ولا إسناد.

وذلك كعثمان، وجعفر، فتقول: (يا عثم)، و(يا جعف)، والمركب تركيب مـزج يرخم بحذف عجزه فتقول في (معدي كرب): يا معدي[3].

ما يحذف للترخيم:

والمحذوف للترخيم:

إما حرف واحد وهو الغالب، نحو: (يا جعف)، و(يا سعا)، وقراءة ابن مسعود:

([1]) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: 251/2، والسيوطي، همع الهوامـع: 59/2، وابـن مالك، التسهيل: ص188، وابن مالك، شرح التسهيل: 279/3 تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميـة، بيـروت، الطبعـة الأولى، 1422هـ.

([2]) ينظر: السيوطي، همع الهوامع: 60/2.

([3]) ينظر: الخضري، حاشية الخضري: 197/2.

{**ونَادوا يا مال**}[1].

وإما حرفان، وذلك إذا كان الحرف الذي قبل الآخر من حرف اللـين، وهـي: الألف، والواو، والياء، وكان حرف اللين ساكناً، زائداً، مكملاً أربعة فصاعداً وقبلـه حركة من جنسه على الأصح لفظاً أو تقديراً.

فمثاله لفظاً: مروان، ومسكين، ومنصور.

ومثاله تقديراً: مصطفَون، ومصطفَين.

قال الشاعر:

يا مرو إن مطيتي محبوسةٌ[2].

وأما فرعون ونحوه وهو ما كان قبل واوه فتحة، أو قبل يئه فتحة كغرنَيق، ففيه خلاف.

فمذهب الفراء والجرمي أنهما يعاملان معاملة مسكين ومنصور، فتقول على هذا المذهب: يا فِرع، ويا غُرن.

ومذهب غيرهما من النحاة عدم جواز ذلك، فتقول عنـدهم: يـا فرعـو، ويـا غرني[3].

يجوز في المرخم لغتان؛ إحداهما: أن ينوى المحذوف منه، والثانية: أن لا ينوى.

ويعبر عن الأولى بلغة من ينتظر الحرف، وعن الثانية بلغـة مـن لا ينتظـر الحرف.

فإذا رخمت على لغة من ينتظر تركت الباقي بعد الحذف على ما كان عليه مـن حركة أو سكون. فتقول في (جعفر): يا جعفَ، وفي (حـارث): يـا حـارِ، وفـي (قِمطر): يا قمطَ.

وإذا رخمت على لغة من لا ينتظر عامات الآخر بما يعامل به لو كان هو آخـر الكلمة وضعاً، فتبنيه على الضم، وتعامله معاملة الاسم التام فتقول: يا جعـفُ، ويـا

([1]) الزخرف: 77.

([2]) البيت للفرزدق من الكامل. ينظر: أوضح المسالك: 55/2، وشرح التصريح على التوضيح: 258/2، والأشموني، شرح الأشموني: 72/3.

([3]) ينظر: الخضري، حاشية الخضري: 198/2.

حار، ويا قمطُ. بضم الفاء والراء والطاء.

فتقول في (ثمود) على لغة من ينتظر: (يا ثمو)، وعلى لغة من لا ينتظر: (يـا ثمي).

إذا رخم ما فيه تاء التأنيث للفرق بين المذكر والمؤنث كـ(مسلمة) وجب ترخيمه على لغة من ينتظر.

وأما ما كانت فيه التاء لا للفرق جاز ترخيمه على اللغتين[1].

1. 3 النداء عند البلاغيين

1. 3. 1 تعريف النداء:

لغةً: هو نَدِي صوتُه، وهو نَدِي الصوت، وهو في أمرٍ لا ينادى وليده.

النداء:

يقول عنه البلاغيون: إنه طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف من حـروف النداء يحل الفعل المضارع (أنادى) المنقول من الخبر إلى الإنشاء محله[2].

وتنقسم أدوات النداء إلى قسمين:

- الهمزة، وأي للتقريب.
- باقي الأدوات للبعيد.

وهذا هو الاستعمال الأصلي لهذه الأدوات، ولكنه قد يتحول إلى استعمال تبادلي، أو يخرج عن المعنى الأساسي للنداء إلى معنى مجازي يفهم من السياق والقرائن[3].

وقد ينَزل البعيد منْزلة القريب، وعندئذ ينادى بالهمزة، و(أي) إشارة إلى قربـه

([1]) ينظر: الخضري، حاشية الخضري: 200/2-201، والأشموني، شرح الأشموني: 74/3.

([2]) ينظر: أمين، بكري شيخ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد،: ص106، دار العلم للملايـين، ط6، 1999م.

([3]) ينظر: القاعود، حلمي محمد تيسير ،علـم المعـاني ، ط1، 1427هـ، دار النـشر الـدولي. التفتازاني، والمطول في شرح تلخيص المفتاح: ص244، الناشر/ المكتبة الأزهرية للتـراث، 1330هـ، وبهامشه حاشية السيد الشريف، الـسكاكي، مفتـاح العلـوم: ص138، المطبعـة الميمنية، على نفقة أصحابها، مصطفى البابي الحلبي وأخويه بمصر.

من القلب وحضوره في الذهن، لا يغيب عن البال.

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

1. أسكان نعمان الأراك تيقنوا   بأنكم في ربع قلبـي سـكّان

وقد ينَزل القريب منْزلة البعيد، فينادى بغير الهمزة و(أي)، إشـارة إلـى علـو مرتبته، أو انحطاط منْزلته، أو غفلته وشرود ذهنه.

فمن أمثلة تنْزيل القريب منْزلة البعيد لعلو مرتبته وارتفاع شأنه:

يا من يرجـى لاـشدائد كلهـا   يا من إليه المشتكى والمفـزع

ومن أمثلة تنْزيل القريب منْزلة البعيد لانحطاط منْزلته:

1. أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ومن أمثلة تنْزيل القريب منْزلة البعيد لغفلته وشروده ذهنه، قول أبي العتاهية:

أيا من عاش في الدنيا طويلاً   وأفنى العمر في قيل وقال

وقوله أيضاً:

أيا من يؤمل طول الحياة   وطول الحياة عليه خطر[1]

2.3.1 أهم الأغراض التي تخرج إليها صيغ النداء:

1. التحسر والتوجع:

ومنه قوله تعالى: {**أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ ا ـ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**}[2].

ومنه قول حافظ في الرثاء:

([1]) ينظر: الجارم، علي؛ أمين، مصطفى، فـي البلاغـة العربيـة: ص116-117، والبلاغـة الواضحة البيان- المعاني- البديع، ودليل البلاغة الواضحة، ص343، الناشر الشرعي/ الدار المصرية السعودية.

([2]) الزمر: 56.

يا درة نزعت من تاج والدها   فأصبحت حليةً في تاج رضوان

2. التعجب:

كقول طرفة:

يا لـك مـن قُبـرةٍ بمعمـرِ   خلا لكِ الجو فبيضي واصفري

3. الاختصاص:

ويكون بحذف النداء؛ مثل: (أيها الرجل) أي من دون الرجال، وهذا هـو أحـد الفروق بين النداء والاختصاص(1).

4. الندبة:

ومنه قول المتنبي:

واحر قلباه ممن قلبه شبم   ومن بجسمي وحالي عنده سقم

5. الإغراء والتحذير:

مثل قولك: يا شجاع تقدم.

وقوله تعالى: {فقال لهم رسول ا ناقة ا وسقياها}(2).

6. الزجر والملامة:

كقوله:

أفؤادي متى المتاب ألما   تصح والشيب فوق رأسي ألما

7. الاستغاثة:

كما تقول: يا للشباب، يا لذوي الغيرة(1).

---

(1) ينظر: عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيـع، ط3، 1413هـ، وينظر: لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، دار الفكر العربـي، 1424هـ: ص140، المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة: ص85، الطبعة الخامسة، ملتزم الطبع والنشر: المكتبة المحمودية التجارية، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتـاح لابـن يعقوب المعرب: 335/2.

(2) الشمس، آية: 13.

يقول أحمد بدوي[2]: "لم يستخدم القرآن من أدوات النداء سوى (يا) ويكون النداء لطلب إقبال المدعو ليصغي إلى أمر ذي بال، ولذا غلب أن يلي النداء أمر أو نهي، كقوله تعالى: {**ياأيها المُدثرُ (1) قُم فَأَنْذِر**}[3]. وقوله تعالى: {**يا أيها الَّذِين آمنُوا لا تُحرمُوا طَيباتِ ما أَحل ا ُ لَكُم** }[4].

وقد يتقدم الأمر عليه، كما في قوله سبحانه: {**وامتَازُوا اليوم أَيها المُجرمُون**}[5]. وقد يعقب النداء جملة خبرية تليها جملة الأمر، كقوله تعالى: {**قَالُوا يا أَيها العزِيزُ إِن لَهُ أَبا شَيخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحدنَا مكَانَهُ**}[6]. وقد لا تأتي جملة الأمر كما في قوله: {**قَالَتْ يا أَيها الملأُ إِني أُلْقي إِلَي كتَاب كَرِيم**}[7].

وحيناً يأتي الاستفهام بعد النداء، كقوله سبحانه: { **يا أَيها الَّذِين آمنُوا ما لَكُم إِذَا قِيلَ لَكُم انْفِرُوا فِي سبِيلِ ا ِ اثاقَلْتُم إِلَى الأَرض**}[8]. أو قبله، كقوله: {**قُلْ أَفَغَير ا ِ تَأْمرُوني أَعبدُ أَيها الجاهلُون**}[9].

وكثيراً ما يحذف لفظ النداء في القرآن كما في قوله سبحانه: {**قَالَ فَما خَطْبكُم أَيها المُرسلُون**}[10].

([1]) ينظر: عباس ، فضل، البلاغة وأفنانها، ص:167، للقزويني، الإيضاح في علـوم البلاغـة ،ص:163، شرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيـع، الرياض، الطبعة الأولى، 1426هـ. وينظر أيضاً: الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيـضاح، نشر مكتبة الإيمان، 1412هـ، جـ2، ص:58-59.

([2]) ينظر: بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القرآن،الناشر مكتبة نهضة مصر، مارس2005م، ص: 130-131.

([3]) المدثر: 1-2.

([4]) المائدة: 87.

([5]) يس: 59.

([6]) يوسف: 78.

([7]) النمل: 29.

([8]) التوبة: 38.

([9]) الزمر: 64.

([10]) الحجر: 57.

وعلى كثرة ما نودي الرب في القرآن لم أعثر عليه مسبوقاً بحرف النداء إلا في تلك الآية الكريمة: {**وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون** (88) **فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون**}[1].

ولم يناد لفظ الجلالة في القرآن، واستغنى عنه حينئذٍ بكلمة (اللهم) قال سبحانه: {**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير**}"[2] [3].

1. 3. 3 الأغراض البلاغية للنداء في السور المكية:

إن القرآن هو معجزة ا الخالدة التي تحدى بها العرب الذين هم أهل الفصاحة واللغة فتحداهم ا بفصاحتهم وبيانهم أن يأتوا بعشر سور فلم يستطيعوا ولو بآية واحدة بيد أنه هناك أغراض بلاغية يخرج بها النداء في السور المكية وهي:

1. التفجع: ومن ذلك قوله تعالى: { قَالُواْ يوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ} سورة العلم آية 11، وقوله تعالى: { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً} سورة الفرقان آية 27-28.
2. التمني: وهو طلب الشيء المستبعد الوقوع. وقد جاء نداء التمني في عـدة مناسبات في القرآن الكريم وكان له الأثر البالغ جداً في تحريـك المـشاعر الإنسانية.

   ها هي مريم عليها السلام تتمنى الموت عندما حدث فيها ما حدث من أمر عيسى عليه السلام قالت: { يلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَـذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً}سورة مريم اية 33.
3. التأسف: وهو الحزن الشديد ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:{ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} سورة يوسف آية 84.

([1]) الزخرف: 88-89.

([2]) آل عمران:26.

([3]) ينظر: بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، ص: 131. وانظر لاشين، المعاني في ضـوء أساليب القرآن الكريم، نشر دار الفكر العربي، 1424هـ ـ 2003م، ص: 139.

4. الإلتماس: ومنه قوله تعالى على لسان يعقوب: { يبَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ الله إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ الله إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} سورة يوسف.
5. التحبب: كما في خطاب يوسف لأبيه: { يأَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} سورة يوسف آية4، ومنه قوله تعالى: يأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ} سورة القصص آية 59.
6. الإستعطاف والترفق: وقد ورد هذا على لسان رسول الملك إلى يوسف يسأله عن تأويل الرؤيا: { يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} سورة يوسف اية 64.
7. التحنن والعطف: وهو كثير في التداعي كقوله تعالى { قُلْ يعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} سورة الزمر آية 53، وقوله تعالى: { يعِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ } سورة الزخرف آية 68.
8. التحدي والتعجيز: كقوله تعالى: { يمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُواْ لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ }،

الفصل الثاني
محاور النداء في السور المكية

2. 1 نداء الأعلى للأدنى

وهو ما يعبر عنه بالأمر عند البلاغيين، والمقصود منه مخاطبة ا عز وجل لخلقه، ببيان عظمته وخلقه لهم وإرشادهم لما فيه صلاحهم، أو مخاطبة الرسل عليهم السلام لأقوامهم بترغيبهم في دين الإسلام وتحذيرهم من الشرك، وإنما أدخلت هـ ذا القسم هنا لأن الرسل هم في مقام النبوة والرسالة وهو اشرف من مقام المـ دعوين. فصارت القسمة ثنائية:

2. 1. 1 القسم الأول: مخاطبة ا عز وجل لخلقه:

ويتضمن هذا النوع من النداء عدة محاور:

المحور الأول: نداء الترغيب:

1. الترغيب في الجنة: لقد دارت دعوات الرسل كلهم على محورين رئيسيين كما أخبر بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: {**مُبشرين ومُنْذِرين..**}[1]، وامتلأ القرآن الكريم بترغيب الناس في دخول الجنة والترغيب فيما يدخل إليها، قال تعالى: {**يا عِبادِ لا خَوفٌ عليكُمُ اليوم ولا أَنْتُم تَحزنُون** (68) **الذِين آمنُوا بِآياتِنَا وكانُوا مُسلِمين** (69) **ادخُلُوا الجنةَ أَنْتُم وأَزواجُكُم تُحبرُون**}[2].
2. الترغيب في العمل الصالح وذكر الثواب عليه، قال تعالى: {**يا أَيها الرسُلُ كُلُوا مِن الطيباتِ واعملُوا صالِحًا إِني بِما تَعملُون علِيم**}[3]. وقوله تعالى: {[**قُلْ يا عِبادِ الذِين آمنُوا اتقُوا ربكُم لِلذِين أَحسنُوا فِي هذِهِ الدنْيا حسنَةٌ..**}[4]. وقوله تعالى: **يا أَيها الذِين آمنُوا اتقُوا ا وآمِنُوا بِرسُولِهِ**

([1]) البقرة: 213.

([2]) الزخرف: 68-70.

([3]) المؤمنون: 51.

([4]) الزمر: 10.

يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ }[1]، وقوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** (10) **تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**}[2]، وقوله تعالى: {**يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**}[3].

3. الترغيب في التوبة والمسارعة إليها، قال تعالى: { **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**}[4].

يقول سيد قطب رحمه الله: "وليس بينه وقد أسرف في المعصية، ولج في الذنب، وأبق عن الحمى، وشرد عن الطريق ليس بينه وبين الرحمة الندية الرخية، وظلالها السمحة المحيية . ليس بينه وبين هذا كله إلا التوبة . التوبة وحدها . الأوبة إلى الباب المفتوح الذي ليس عليه بواب يمنع، والذي لا يحتاج من يلج فيه إلى استئذان"[5].

المحور الثاني: نداء الترهيب:

1. الترهيب من النار وعذابها، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**}[6]، قال الرازي: "قُوا أَنفُسَكُم" أي بالانتهاء عما نهاكم الله تعالى عنه، وقال مقاتل: أن يؤدب المسلم نفسه وأهله، فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر"[7].

---

(1) الحديد: 28.

(2) الصف: 10-11.

(3) الأعراف: 35.

(4) الزمر: 53.

(5) في ظلال القرآن، جـ7، ص: 150-151.

(6) التحريم: 6.

(7) الرازي، مفاتيح الغيب، جـ30، ص: 354.

2. الترهيب من يوم القيامة: {**يا أيها الناسُ اتقُوا ربكُم واخشَوا يومًا لا يجزي والِد عن ولِدِهِ ولا مولُود هُو جازٍ عن والِدِهِ شيئًا**}[1]. قال الطبري رحمه ا تعالى: "فإنه تحذير من ا تعالى ذكره عباده الذين خاطبهم بهذه الآية -عقوبته أن تحل بهم يوم القيامة، وهو اليوم الذي لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئاً، ولا يجزي فيه والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً".

وقوله تعالى: {**يا أيها الناسُ إن وعد ا حق فلا تغُرنكُمُ الحياةُ الدنيا ولا يغُرنكُم بِا الغرُورُ**}[2]، {**يا أيها الذِين آمنُوا اتقُوا ا ولتَنظُر نفس ما قدمت لِغدٍ واتقُوا ا إن ا خبِير بِما تعملُون**}[3].

3. الترهيب من مقام الإنسان بين يدي ا ، مثل قوله تعالى: {**يا أيها الإنسانُ ما غرك بِربك الكرِيمِ**}[4] وقوله: { **يا أيها الإنسانُ إِنك كادِح إِلى ربك كدحًا فمُلاقِيهِ**}[5]. وقوله تعالى: {**يا أيها الناسُ اتقُوا ربكُمُ..**}[6].

المحور الثالث: نداء التحذير:

1. التحذير من كيد الشيطان في صرفه للناس عن الدين كما صرف آدم وحواء عليهما السلام من قبل بإغوائهما بأكلهما من الشجرة، قال تعالى: {**يا بنِي آدم لا يفتِننكُمُ الشيطانُ...**}[7]، قال ابن عاشور رحمه ا تعالى: "وشُبه الفتون الصادر من الشّيطان للنّاس بِفَتِنِهِ آدم وزوجه إذْ أقدمهما على الأكل من الشجرة المنهي عنه، فأخرجهما من نعيم كانا فيه، تذكيراً للبشر بأعظم فتنة فتن الشّيطان بها نوعهم، وشملتْ كلّ أحد من النّوع، إذ حرم من النّعيم الذي كان يتحقق له لو بقي أبواه في

---

(1) لقمان: 33.

(2) فاطر: 5.

(3) الحشر: 18.

(4) الانفطار: 6.

(5) الانشقاق: 6.

(6) النساء: 1.

(7) الأعراف: 27.

الجنّة وتناسلا فيها، وفي ذلك أيضاً تذكير بأن عداوة البشر للشّيطان موروثة، فيكون أبعث لهم على الحذر من كيده"[1].

وقوله تعالى: { **يا أَيها الناسُ إِن وعد ا ـ حق فَلَا تَغُرنكُمُ الحياةُ الدنْيا ولَا يغُرنكُم بِا ـ الغَرُورُ** (5) **إِن الشيطَان لَكُم عدُو فَاتخِذُوهُ عدُوا إِنما يدعُو حِزبهُ لِيكُونُوا مِن أَصحابِ السعِيرِ**}[2] وقوله تعالى لآدم: { **يا آَدمُ إِن هذَا عدُو لَك ولِزوجِك فَلَا يُخْرِجنكُما مِن الجنةِ فَتَشْقَى**}[3]، وقوله تعالى: {**أَلَم أَعهد إِلَيكُم يا بنِي آَدم أَن لَا تَعبُدُوا الشيطَان** }[4].

2. التحذير من الاغترار بالدنيا: { **يا أَيها الناسُ إِن وعد ا ـ حق فَلَا تَغُرنكُمُ الحياةُ الدنْيا ولَا يغُرنكُم بِا ـ الغَرُورُ**}[5].

المحور الرابع: نداء الامتنان:

دعوة الرسل عليهم السلام إلى أكل الطيبات وعمل الصالحات كما في قوله تعالى: {**يا أَيها الرسُلُ كُلُوا مِن الطيباتِ واعملُوا صالِحًا إِني بِما تَعملُون علِيم**}[6].

1. دعوة الناس إلى التوسط في زينتهم وعدم الإسراف فيها كما قال تعالى: {**يا بنِي آَدم خُذُوا زِينَتَكُم عِنْد كُلِّ مسجِدٍ وكُلُوا واشْربُوا ولَا تُسرِفُوا إِنهُ لَا يُحِب المُسرِفِين**}[7].

2. الامتنان على خلقه بإعطائهم ما يحتاجونه، كما قال تعالى: {**يا بنِي آَدم قَد أَنْزلْنَا علَيكُم لِباسًا يُوارِي سوآَتِكُم ورِيشًا ولِباسُ التقْوى ذَلِك خَير** }[8].

([1]) التحرير والتنوير، المجلد الرابع، جـ9، ص: 77.

([2]) فاطر: 5-6.

([3]) طه: 117.

([4]) يس: 60.

([5]) فاطر: 5.

([6]) المؤمنون: 51.

([7]) الأعراف: 31.

([8]) الأعراف: 26.

قال الإمام الطبري رحمه ا تعالى: "يقول جل ثناؤه للجهلة من العـرب الـذين كانوا يتعرون للطواف، اتباعًا منهم أمر الشيطان، وتركًـا مـنهم طاعـةَ ا ، فعرفهم انخداعهم بغروره لهم، حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر ا الذي أنعم به عليهم، حتى أبدى سوءاتهم وأظهرها من بعضهم لبعض، مـع تفـضل ا عليهم بتمكينهم مما يسترونها به، وأنهم قد سار بهم سـيرته فـي أبـويهم آدم وحواء اللذين دلاهما بغرور حتى سلبهما ستر ا الذي كان أنعم بـه عليهمـا حتى أبدى لهما سوءاتهما فعراهما منه"[1].

3. افتقار الخلق عز وجل واحتياجهم له قال تعالى: {**يا أَيها الناسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلى ا ِ وا ُ هُو الغَنِي الحمِيدُ**}[2].

4. ما كان من رزقه تعالى لزكريا من الولد قال تعالى: {**يا زكَريا إِنا نُبشرُك بِغُلَامٍ اسمُهُ يحيى لَم نَجعلْ لَهُ مِن قَبلُ سمِيا**}[3].

المحور الخامس:نداء التحدي:

1. التحدي بعدم القدرة عن الخروج عن سلطان ا ، قال تعالى: {**يا معشَر الجِن والإِنْسِ إِنِ استَطَعتُم أَن تَنْفُذُوا مِن أَقْطَارِ السماواتِ والأرضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُون إِلَا بِسُلْطَانٍ**}[4].

قال الزمخشري رحمه ا تعالى: "إن اسـتطعتم أن تهربـوا مـن قـضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي، فافعلوا، ثم قال: لا تقدرون على النفوذ "إلا بسلطان" يعني بقوة وقهر وغلبة، وأنى لكم ذلك"[5].

([1]) الطبري ، جامع البيان، جـ7، ص:69.

([2]) فاطر: 15.

([3]) مريم: 7.

([4]) الرحمن: 33.

([5]) الزمخشري، الكشاف، جـ4، ص: 303.

المحور السادس: نداء الإرشاد:

1- الإرشاد إلى تقوى الله عز وجل: {**يا أيها الناسُ اتقُوا ربكُمُ**..}[1] وقوله تعالى: { **قُلْ يا عِبادِ الذِين آمنُوا اتقُوا ربكُم** }[2].

قال ابن سعدي رحمه الله تعالى: "قل مناديا لأشرف الخلق، وهم المؤمنـون، آمرا لهم بأفضل الأوامر، وهي التقوى، ذاكرا لهم السبب الموجب للتقـوى، وهـو ربوبية اللّه لهم وإنعامه عليهم، المقتضي ذلك منهم أن يتقوه، ومن ذلك ما من اللّـه عليهم به من الإيمان فإنه موجب للتقوى، كما تقول: أيها الكـريم تـصدق، وأيهـا الشجاع قاتل" [3].

2. 1. 2 القسم الثاني: نداء الرسل لأقوامهم:

وهو أنواع:

1. الدعوة إلى توحيد الله على لسان رسله عليهم السلام الذين جاءت كلمتهم في تقرير هذا النوع من التوحيد متفقة وهي قوله تعالى: { **يا قَومِ اعبُدُوا الله ما لكُم مِن إلَهٍ غَيرُهُ** }[4]، على لسان كل من هود وصالح وشعيب ونوح عليهم السلام. كما قال تعالى: { **وما أرسلْنَا مِن قَبلِك مِن رسُولٍ إلا نُوحِي إليهِ أَنهُ لَا إِلَه إِلا أَنَا فَاعبُدُون**}[5]، وقوله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ: { **قُلْ يا أَيها الناسُ إِني رسُولُ الله إِليكُم جمِيعًا الذِي لهُ مُلْكُ السماواتِ والأرض لَا إِلَه إِلا هُو يُحيِي ويُمِيتُ** }[6].

([1]) النساء: 1.

([2]) الزمر: 10.

([3])السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، قدم له عبـد الله بن عبد العزيز الفضيل، نشر دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية 1426هـ، ص: 720.

([4]) الأعراف: 65.

([5]) الأنبياء: 25.

([6]) الأعراف: 158.

2. ما كان من مخاطبة الرسل لأقوامهم ومحاججتهم لهم في إبطال شركهم با تعالى كما جاء عن نوح مخاطبا قومه: {**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**}[1]. وقول صالح لقومه: { **يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ ا إِنْ عَصَيْتُهُ**}[2]، وقوله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: { **وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ**}[3] وهو وإن لم يكن رسولاً إلا أنه قام فيهم مقام الرسول.

يقول الدكتور البوطي: "وإذا تأملت في معالجة القرآن لموضوع العقيدة فإنك قلما تجده يعرض الدليل على أصل وجود ا عز وجل وإنما يقرر وحدانيته وينبه العقول إلى الأدلة المختلفة على ذلك والسبب هو أن وجود ا عز وجل أمر مفروغ منه لا نزاع ولا حاجة للبحث فيه، وإنكار وجوده أو الشك فيه لا يتصوره عقل عاقل"[4].

3. وعد من آمن من أقوامهم بجزيل العطاء في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: {**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ** }[5].

4. البراءة من الشرك وأهله كما أمر ا به نبيه محمدا فقال مخاطبا لكفار مكة:

([1]) هود: 28.

([2]) هود: 63.

([3]) غافر: 41.

([4]) البوطي، محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن، تأملات علمية وأدبية في كتاب ا عز وجل، نشر مكتبة الفارابي، دمشق، الطبعة الثانية 1390هـ، ص: 193.

([5]) هود: 52.

{**قُلْ يا أيها الكافِرُون...**} [1] الآيات، وقول إبراهيم عليه السلام: { **يا قَومِ إني بريء مِما تُشْرِكُون**}[2].

قال الزمخشري رحمه ا : "المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم ا منهم أنهم لا يؤمنون"[3].

5. التحذير من عاقبة من عصى ا ولم يؤمن به، قال تعالى: { **ويا قَومِ لا يجرمنكُم شِقاقِي أن يُصيبكُم مِثْلُ ما أصاب قَوم نُوحٍ أو قَوم هُودٍ أو قَوم صالِحٍ**}[4]، وقوله تعالى: {**ويا قَومِ اعملُوا على مكانَتِكُم إني عامِلٌ سوفَ تَعلمُون من يأْتِيهِ عذاب يُخْزيهِ ومن هُو كاذِب وارتَقِبُوا إني معكُم رقِيب**}[5].

وبالجملة فإن آيات النداء في السور المكية عموماً تتناول موضوع العقيدة والدعوة إلى التوحيد وترك الشرك با وهو ما اتفقت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام.

يقول السيوطي رحمه ا تعالى: "ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء، فخوطب به جميع الناس"[6] .

يقول الدكتور القرضاوي حفظه ا : "هذه العبادة له وحده هي العهد القديم الذي أخذه ا تعالى على بني الإنسان وسجله بعلم القدرة في فطرهم البشرية وغرسه في طبائعهم الأصيلة فلا عجب أن يكون المقصد الأعظم من بعثة النبيين وإرسال المرسلين وإنزال الكتب المقدسة هو تذكير الناس بهذا العهد القديم وإزالة ما

([1]) الكافرون: 1.

([2]) الأنعام: 78.

([3]) الزمخشري، الكشاف، جـ4، ص: 803.

([4])هود 89.

([5]) هود: 98.

([6])السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد، نشر دار الاعتصام، الطبعة الثانية 1398هـ ـ 1978م، ص:76.

تراكم على معدن الفطرة من غبار الغفلة أو الوثنية أو التقليد، ولا عجب أن يكون النداء الأول لكل رسول: { **يا قومِ اعبُدُوا ا ً ما لكُم مِن إلهٍ غيرُهُ** }[(1)].

2. 2 نداء الأدنى للأعلى

وهو ما يعبر عنه بالدعاء عند البلاغيين والمقصود الصادر من المخلـوقين لرب العزة تبارك وتعالى، أو من المخلوق إلى المخلوق الذي هو أدنـى منـه فـي الرتبة، فهو قسمان:

2. 2. 1 القسم الأول: النداء الصادر من المخلوقين لرب العزة تبارك وتعالى:

و من بين الأغراض التي يتناولها هذا النداء.

(1) تقرير وحدانية ا تعالى وبيان أنه خالق السماوات والأرض ومنشؤهن من غير مثال سابق قال تعالى: {**قُلِ اللهُم فَاطِر السماواتِ والأرضِ عالِم الغَيبِ والشهادةِ أَنْتَ تَحكُمُ بين عِبادِك فِي ما كانُوا فِيهِ يخْتَلِفُون**}[(2)].

قال الألوسي رحمه ا تعالى: "أمر بالدعاء والالتجاء إلى ا تعالى لما قاساه في أمر دعوتهم وناله من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فإنه تعالى القادر علـى الأشياء بجملتها والعالم بالأحوال برمتها، والمقصود من الأمر بـذلك بيـان حـالهم ووعيدهم وتسلية حبيبه الأكرم ، وأن جده وسعيه معلوم مشكور عنده عـز وجـل وتعليم العباد الالتجاء إلى ا تعالى والدعاء بأسمائه العظمى"[(3)].

(2) النداء بطلب الهداية وحسن الخاتمة والنجاة من النار والسير في موكب الصالحين قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: {**رب قَد آتَيتَنِي مِن المُلْكِ**

([1])القرضاوي، يوسف، العبادة في الإسلام،نشر دار الإرشاد، بيروت، لبنـان، الطبعـة الثانيـة 1391هـ ـ 1971م، ص: 216. والآية من الأعراف: 62.

([2]) الزمر: 46.

([3])الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، نشر دار إحيـاء التـراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنـان، الطبعـة الأولـى 1421هـ ـ 2000، ص:363.

وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين}[1].

قال الشوكاني في هذه الآية: "أي توفني على الإسلام لا يفارقني حتى أموت، وألحقني بالصالحين من النبيين من آبائي وغيرهم فأظفر بثوابهم منك ودرجاتهم عندك"[2]. وقوله تعالى: {**والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا**}[3].

وقوله تعالى: {**رب هب لي حكمًا وألحقني بالصالحين**}[4].

(3) نداء الله تعالى بسؤاله ما يحتاجه الإنسان في حياته الدنيا وما تقر به عينه فيها، ومن ذلك قول الله تعالى على لسان زكريا عليه السلام: {**رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبًا ولم أكن بدعائك رب شقيا** (4) **وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليا**}[5].

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: "جملة: {**قال رب إني وهن العظم مني**} مبنية على الجملة {**نادى ربه**}. وهي وما بعدها تمهيد للمقصود من الدعاء وهو قوله: { **فهب لي من لدنك وليا**}. وإنّما كان ذلك تمهيداً لما يتضمنه من اضطراره لسؤال الولد . والله يجيب المضطر إذا دعاه، فليس سؤاله الولد سؤال توسع لمجرد تمتع أو فخر"[6].

([1]) يوسف: 101.

([2])الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق سيد إبراهيم، نشر دار الحديث، جـ3، ص: 71.

([3]) الفرقان: 65.

([4]) الشعراء: 83.

([5]) مريم: 4-5.

([6]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، نشر دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، المجلد السابع، ص:65-75.

ومثله ما ناجى به نوح ربه حين قال: {**ونَادى نُوح ربهُ فَقَالَ رب ِإن ابنِي مِن َأهلِي وإِن وعدك الحق وَأنْتَ َأحكَمُ الحاكِمِين**}[1]. قال أبو السعود: "هذا الدعاء منه عليه الصلاة

والسلام على طريقة دعاءِ أيوب عليه الصلاة والسلام: عندما أحتاج إلى ا في حياته الدنيوية وكذلك الآخروية {**ِإذْ نَادى ربهُ َأني مسنِي الضر وَأنْتَ َأرحمُ الراحِمِين**}"[2].

(4) سؤال ا تعالى الفرج في الكرب والمدلهمات ومنه قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: {**رب السجنُ َأحب ِإلي مِما يدعُونَنِي ِإليهِ وإِلا تَصرِفْ عني كَيدهُن َأصبُ ِإليهن وَأكُن مِن الجاهِلِين**}[3] ما صدر من يونس عليه السلام: {**ِإذْ ذَهب مُغَاضِبًا فَظَن َأن لَن نَقْدِر عليهِ فَنَادى فِي الظُلُماتِ َأن لَا ِإله ِإلا َأنْتَ سُبحانَك ِإني كُنْتُ مِن الظَالِمِين**}[4].

قال ابن عاشور رحمه ا تعالى: "وأما نداؤه ربه فذلك توبة صدرت منه عن تقصيره أو عجلته أو خطأ اجتهاده، ولذلك قال: { **ِإني كُنْتُ مِن الظَالِمِين**} مبالغةً في اعترافه بظلم نفسه، فأسند إليه فعل الكون الدال على رسوخ الوصف، وجعل الخبر أنه واحد من فريق الظالمين وهو أدل على أرسخية الوصف"[5].

(5) التعوذ با من شر كل ذي شر قال تعالى: {**وقُلْ رب َأعُوذُ بِك مِن همزاتِ الشياطِين**}[6].

([1]) هود: 45.

([2])الحنفي، أبو السعود محمد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنـان، جـ ـ 3، مجلد:20، ص: 317. والآية من الأنبياء: 83.

([3]) يوسف: 33.

([4]) الأنبياء: 87.

([5]) التحرير والتنوير، المجلد 7، ج17، ص134.

([6]) المؤمنون: 97.

قال أبو حيان: ثم أمره تعالى أن يستعيذ من نحسات الشياطين والهمـز مـن الشيطان عبارة عن حثه على العصيان والإغراء به كمـا يهمـز الـرائض الدابـة لتسرع، ثم أمره أن يستعيذ بسورة الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه"[1].

وقال تعالى على لسان لوط عليه السلام: {**رب نجني وأهلي مما يعملون**}[2]، وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: {**قال رب نجني من القوم الظالمين**}[3]، وقوله تعالى على لسان أصحاب الأعراف: {**وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين**}[4].

قال الزمخشري: "إذا نظروا إلى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم { **وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار**} ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا با وفزعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم"[5].

(6) طلب المغفرة منه سبحانه وتعالى كما فعلت بلقيس في إعلانها إسلامها في قوله تعالى: {**قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان ـ رب العالمين**}[6].

قال الزمخشري رحمه ا : "علمت أن ملك سليمان من ا تعالى واسـتدلت بذلك على التوحيد والنبوة { **قالت رب إني ظلمت نفسي**} بعبادة غيرك { **وأسلمت مع سليمان ـ رب العالمين**} أي أخلصت له التوحيد والعبادة".

وقوله تعالى: {**وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين**}[7]، وقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: {**رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا**

([1]) الأندلسي، ابو حيان، البحر المحيط في التفسير، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، 1412هـ ـ ـ 1992م، جـ7، ص: 583.

([2]) الشعراء: 169.

([3]) القصص: 21.

([4]) الأعراف: 47.

([5]) الزمخشري الكشاف، المجلد الأول، جـ2، ص: 83.

([6]) النمل: 44.

([7]) المؤمنون: 118.

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}، قال الرازي رحمه الله تعالى: "إنما خص نفسه أولاً بالدعاء ثم المتصلين به لأنهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات"[1].

وقوله تعالى: {**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**}[2]، وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: {**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ**}[3]، وقوله تعالى: {**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ**}[4].

(7) طلب أمر معجز يكون دليلاً على النبوة. كقوله تعالى على لسان سليمان: { **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي**}[5].

قال الزمخشري رحمه الله: "فإن قلت: أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطي الله ما لا يعطيه غيره؟ قلت: كان سليمان عليه السلام ناشئاً في بيت الملك والنبوة ووارثاً لهما، فأراد أن يطلب من ربه معجزة، فطلب على حسب ألفه ملكاً زائداً على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز، ليكون ذلك دليلاً على نبوته قاهراً للمبعوث إليهم، وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات"[6].

(8) سؤال الله عز وجل النصرة على الظالمين، كما جاء على لسان كثير من الرسل، قال تعالى: { **قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ** (117) **فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**

([1]) الرازي، مفاتيح الغيب، المسمى بالتفسير الكبير، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، المجلد الخامس عشر، ص: 147. والآية من نوح: 28.

([2]) الحشر: 10.

([3]) القصص: 16.

([4]) غافر: 7.

([5]) ص: 35.

([6]) الزمخشري، الكشاف، جـ4، ص: 91-92.

فَنَحِّـا..}[1]، وقولـه تعـالى: { **قَـالَ رب انْـصُرنِي علَـى القَـومِ المُفْسِدِين**}[2]، وقوله تعالى: {**رب انْصُرنِي بِما كَذَّبُون**}[3].

2. 2. 2 النداء الصادر من المخلوق الأدنى في الرتبة إلى الأعلى منه:

1- نداء جاء على وجه التحبب والاستعطاف مثل ما صدر من إبراهيم عليه السلام حين مخاطبته لأبيه بقوله: { **يا أَبتِ لِم تَعبُدُ ما لا يسمعُ ولا يُبصِرُ ولا يُغْنِي عنْك شَيئًا**}[4] الآيات، وهو في مقام الاحتجاج على أبيه بأسلوب أدبي راق فهو في مقام البنوة لذلك ناسب أن يخاطب أباه وإن كان على الكفر بهذا النوع من الأدب.

يقول الزمخشري رحمه ا :"انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كـان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقل وانـسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة: كيف رتب الكلام معه فـي أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف والرفـق واللـين والأدب الجميل والخلق الحسن، منتصحاً في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا وذلك أنـه طلب منه أولا العلة في خطئه طلب منبه على تماديه، موقظ لإفراطه وتناهيـه، لأن المعبود لو كان حياً مميزاً، سميعاً بصيراً، مقتدراً على الثواب والعقاب، نافعاً ضاراً، إلا أنه بعض الخلق: لاستخفّ عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية، ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وإن كان أشرف الخلـق وأعلاهـم منزلـة كالملائكـة والنبيين"[5].

2- أما الاستعطاف والترفق وقد ورد هذا الخطاب على لسان هارون لموسى في قوله: { **قَالَ يا ابن أُم لا تَأْخُذْ بِلِحيتِي ولا بِرأْسِي**}[6] مع أنه أكبر منه سنا إلا أن

([1]) الشعراء: 117-118.

([2]) العنكبوت: 30.

([3]) المؤمنون: 26.

([4]) مريم: 42.

([5]) الزمخشري، الكشاف، جـ3، ص: 8.

([6]) طه: 94.

موسى عليه السلام أعلى منه رتبة فناسب أن يخاطبه بنوع شفاعة وتلطف واسترحام.

قال ابن عطية: "قوله: "يا ابن أم" استلطاف برحم الأم إذ هو ألصق القرابات[1].

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى: "قوله في الجواب "يا ابن أم" نداء لقصد الترقيق والاستشفاع. وهو مؤذن بأن موسى حين وبخه أخذ بِشَعرِ لحية هارون، ويشعر بأنه يجذبه إليه ليلطمه، وقد صرح به في الأعراف بقوله تعالى: وأخذ برأس أخيه يجره إليه"[2].

([1]) الأندلسي، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق السيد عبد العال السيد إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، ص: 81.

([2]) التحرير والتنوير، المجلد الرابع، الجزء 9، ص77.

الفصل الثالث

بناء جملة النداء في السور المكية

يذكر النحاة في أبواب النداء أن أداة النداء إنما هي نائبة عن فعل مضمر تقديره أدعو أو أنادي وما بعدها يكون معمولاً لها في محل نصب أو معرباً منصوباً، وكما تعددت أدوات النداء فقد تعددت أنواع المنادى إلا أنه في القرءان الكريم لم يرد من حروف النداء إلا حرف (يا) فقط وذلك لأنها أم الباب كما يقال، فهي التي ينادى بها القريب والبعيد والتي يستغاث بها، قال في القاموس: "ويا حرفٌ لِنِداءِ البعيدِ حقيقةً أو حكْماً، وقد ينادى بها القريب تَوكيداً، أو هي مشْتَركةٌ بينَهما، أو بينَهما وبين المتَوسطِ"[1].

ولا يستعمل مع لفظ الجلالة في النداء غيرها، قال السمين الحلبي:" قال الشيخ: "وعلى كثرة وقوع النداءِ في القرآن لم يقَع نداء إلا بها"[2].

قال في القاموس: "ولا ينادى اسم اللّهِ تعالى والاسم المستَغاثُ وأيها وأيتُها، إلا بها، ولا المنْدوب إلا بها أو بِوا"[3].

كما أنه لم تُذكر جميع أنواع النداء في القرآن الكريم وذلك لأن النداء جاء لأغراض قد تتفق مع طبيعة نداء معين، أما طبيعة الأنواع الأخرى فلا يحتاج إليها في مثل هذه الأغراض.

والمقصود هنا هو ذكر أقسام ورودها مع المنادى بأنواعه ذكرا وحذفا وتكرارا.

([1]) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، نشر دار الجيل، بيروت، لبنان، جـ4، ص:408، (فصل الياء).

([2]) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، نشر دار القلم، بيروت، لبنان، جـ1، ص: 185.

([3]) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، (فصل الياء).

ولا بأس بذكر إشارة هنا إلى أنواع المنادى التي تقدمت في المباحث السابقة فأقول: يرد المنادى إما مفردا وهو إما علم نكرة مقصودة أو غير مقصودة أو مضافا أو شبيها بالمضاف وهو في كلها إما مبني في محل نصب أو منصوب.

3. 1 المنادى المبني في محل نصب

3. 1. 1 النكرة المقصودة:

ورود المنادى في القرآن نكرة مقصودة قليل جدا إذا ما قورن بالأنواع الأخرى للمنادى وذلك مثل قوله تعالى: {**يا أَرضُ ابلَعي ماءكِ ويا سماءُ أَقْلِعي**}[1]. ومثل قوله تعالى: { **يا جِبالُ أَوبي معهُ والطير** }[2]، وقوله تعالى: {**يا نَارُ كُوني برداً وسلامًا على إبراهيم**}[3]، فلفظ الأرض والسماء والنار كلها مبنية في محل نصب، والدليل على أنها في محل نصبٍ نصب المعطوف عليها كما في قوله تعالى: { يجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ } سورة سبأ آية (10)، فإنه منصوب عطفاً موضع الجبال لأنها في محل نصب وهذا هو قول سيبويه، قال رحمه ا : "قلت: أرأيت قول العرب: يا أخانا زيداً أقبل؟ قال: عطفوه على هذا المنصوب فصار نصباً مثله، وهو الأصل، لأنه منصوب في موضع نصبٍ"[4].

وقيل هي مفعول معه وقال أبو عمرو هو منصوب بإضمار فعل تقديره - وسخرنا له الطير - وقال الكسائي تقديره: آتيناه الطير، كأنه معطوف على "فضلا"، وهذا كله على نصبها وأما على الرفع فقد قرأه الأعرج بالرفع وعطفه على لفظ الجبال وقيل هو معطوف على المضمر المرفوع في أوبي وحسن ذلك لأن معه قد فصلت بينهما فقامت مقام التأكيد[5].

([1]) هود: 44.

([2]) سبأ: 10.

([3]) الأنبياء: 69.

([4]) سيبويه، الكتاب (باب النداء)، جـ2، ص: 186.

([5]) انظر ابن ابي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1405هـ، الجزء الثاني، ص 583.

وقراءة الرفع ذكر ابن الجزري رحمه ا أنه انفرد ابن مهران عن هبـة ا بن جعفر عن أصحابه عن روح بها وهي رواية زيد عن يعقوب ووردت عن عاصم وأبي عمرو[1].

وقولنا نكرة مقصودة أي أنها عينت فعرفت ألا ترى إلى قوله تعالى: { ينَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ }[2] كلنا يعرف أنها النار التي أوقدت لإبراهيم عليه السلام مثل ذلك في الأرض والسماء. كقوله تعالى: { وَقِيلَ يأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } سورة هود آية (44).

3. 2. 1 القسم الثاني: المفرد والمعرفة:

و أما ورود المنادى علماً؛ فأغلب من نودي في القرآن في السور المكية من الأعلام هم الأنبياء، وقد ترد أداة النداء مذكورة مع العلم مثل قوله تعالى: {**ويا آدمُ اسكُن أَنْتَ وزوجُك الجنةَ فكُلَا مِن حيثُ شِئْتُما** }[3]، وقوله تعالى: { **يا نُوحُ إِنهُ ليس مِن أَهلِك** }[4]، وقوله تعالى: { **يا صالِحُ قَد كُنْتَ فِينَا مرجُوا قَبلَ هذَا** }[5] وقوله تعالى: { **يا نُوحُ اهبِطْ بِسلَامٍ مِنا وبركَاتٍ عليك وعلَى أُممٍ مِمن معك**}[6]، وقوله تعالى: {**يا موسى إِني اصطَفَيتُك علَى الناس**}[7]، وقوله تعالى: { **يا داوُودُ إِنا جعلْنَاك خَلِيفَةً فِي الأَرضِ** }[8]، وقوله تعالى: {**يا زكَريا إِنا نُبشرُك بِغُلَامٍ اسمُهُ**

([1]) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، بتحقيق: علي محمد الـضباع، نـشر دار الكتـب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1420هـ ـ 2002م، جـ2، ص: 261.

([2]) الأنبياء: 69.

([3]) الأعراف: 19.

([4]) هود: 46.

([5]) هود: 62.

([6]) هود: 48.

([7]) الأعراف: 144.

([8]) ص: 26.

يحيى..}[1]، وقوله تعالى: { **يا إبراهيمُ** (104) **قد صدقْتَ الرؤْيا إنا كذَلِك نَجزي المُحسِنين**}[2].

وقد تحذف أداة النداء معه كما في قوله تعالى: {**يُوسُفُ أَعرِض عن هذَا** }، وقوله تعالى: {**يُوسُفُ أَيها الصديقُ..**}[3].

وقد ذكر الزركشي رحمه ا تعالى أن هذا الحذف هنا للتخفيف لكثرة دورانه على الألسنة، قال رحمه ا : "قال سيبويه العرب تقول لا أدر فيحذفون الياء والوجه لا أدري لأنه رفع وتقول لم أبل فيحذفون الألف والوجه لم أبال ويقولـون لـم يـك فيحذفون النون كل ذلك يفعلونه استخفافا لكثرته في كلامهم"[4].

وقال الزمخشري رحمه ا تعالى: "حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله"[5].

3. 1. 3 القسم الثالث: المعرفة (بأل):

وأما المعرفة فلم تنادى في القرآن وفي غيره إلا مقرونة بلفظ أيها كما في قوله تعالى: { **يا أَيها الساحِرُ ادعُ لَنَا ربك بِما عهد عِنْدك**}[6]، وقوله تعالى: { **يا أَيها الإِنْسانُ ما غَرك بِربك الكَرِيم**}[7] وقوله تعالى: {**يا أَيها الناسُ قَد جاءتْكُم موعِظَةٌ مِن ربكُم وشِفَاء لِما فِي الصدُور** }[8]، وقوله تعالى: {**يا أَيتُها النفْسُ المُطْمئِنةُ**}[9]. وقولـه تعالى: {**يا أَيها المُزمِلُ**}[10]، وقولـه تعالى: {**ياأَيها**

([1]) مريم: 7.

([2]) الصافات: 104-105.

([3]) يوسف: 29، و46.

([4]) الزركشي، البرهان (3-106).

([5]) الزمخشري، الكشاف، جـ2، ص: 341.

([6]) الزخرف: 49.

([7]) الانفطار: 6.

([8]) يونس: 57.

([9]) الفجر: 27.

([10]) المزمل: 1.

المُدثرُ}[1]، وقوله تعالى: {**قُلْ يا أَيها الكافِرُون...**} [2]، وقوله تعالى: {**يا أَيها الرسُلُ كلُوا مِن الطيباتِ** }[3]، وقوله تعالى: {**يا أَيها العزيزُ إن لهُ أَبًا** }[4].

قال ابن الحاجب رحمه ا تعالى: "وإذا نودي المعرف باللام قيل: يـا أيهـا الرجل، ويا هذا الرجل" ويا أيهذا الرجل، والتزموا رفع الرجل لأنه مقصود"[5].

ولم يخرج عن هذا النوع إلا لفظ الجلالة فإنه تجوز مناداته بالياء دون إدخال أيها عليها إلا أنها في القرآن حذفت الياء وعوض عنها بالهاء والميم كما في قولـه تعالى: {**قُل اللهُم فَاطِر السماواتِ والأرض عالِم الغَيبِ والشهادةِ**}[6].

قال الأزهري: "قال الخليل وسيبويه وجميع النحويين الموثوق بعلمهم: اللهم بمعنى يا أ ، وأن الميم المشددة عِوض من "يا" لأنهم لم يجِدوا "يا" مع هذه الميم في كلمة ووجدوا اسم ا مستعملا بـ"يا" إذا لم تُذكر الميم في آخر الكلمـة فعلمـوا أن الميم في آخر الكلمة بمنزلة "يا" في أولها والضمة التي في الهاء لسكونها وسـكون الميم قبلها"[7].

وذكر بعض النحويين أن لفظ اللهم إنما أصله ا أم وليـست عوضـا عـن حرف النداء بدليل أنهما جمعتا في قول الشاعر:

إني إذا ما حدث ألما أقول ياااللهم يااللهم

وهذا القول ينسب للفراء وأبي العباس[8]. قال الأزهري: "وقال أبو بكر بـن الأنباري: الدليل على صحة قول الفراء وأبي العباس في اللّهم أنه بمعنى يـا أ أُم،

([1]) المدثر: 1.

([2]) الكافرون: 1.

([3]) المؤمنون: 51.

([4]) يوسف: 78.

([5]) الأستراباذي، كافية ابن الحاجب، جـ1، ص: 373.

([6]) الزمر: 46.

([7]) الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام سرحان، والأستاذ محمد علي النجار، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، جـ6، ص: 282-370.

([8]) الأزهري، تهذيب اللغة، ص 369.

إدخال العرب "يا" على اللّهم"[1].

وقد رد ابن منظور هذا القول فقال: "قال الزجاج وزعم الفراء أن الضمة التي هي في الهاء ضمة الهمزة التي كانت في أُم وهذا محال أن يتْرك الضم الـذي هـو دليل على نداء المفرد وأن يجعل في اسم ا ضمةُ أُم هذا إلحاد في اسم ا "[2].

وقال أيضا: "وقال الفراء إن يا قد يقال مع اللهم فيقال يا أللهم واستشهد بشعر لا يكون مثله حجة:

وما عليكِ أن تَقُولِي كُلما صليتِ أو سبحت يا أللهما

اردد علينا شَيخَنَا مسلما

وقد اعتبره ابن مالك شاذا كما قال في ألفيته:

والأكثر اللهم بالتعويض وشذ ياالّلهم في قريض[3]

هذه هي أبرز أنواع النداء في السور المكية ونحن نلمس أنها قد اختلفت كماً وكفياً فأكثر أنواع وروداً في هذه السور هو المفرد العلم والمفرد المعرفة أما النكرة المقصودة فقد عينت فالسماء المناداة في هذه السور معروفة وكذلك الأرض معروفة والنار التي أدخلت فيها سيدنا ابراهيم عليه السلام معروفة.

3. 2 المنادى المنصوب

3. 2. 1 المضاف إلى اسم ظاهر:

سواء كانت الإضافة محضة كقوله تعالى: {**يا أُخْتَ هارُون ما كان أَبُوكِ امرأَ سوءٍ وما كانَتْ أُمكِ بغِيا**}[4] وقوله تعالى: { **يا ذَا القَرنَين إن يأْجُوج ومأْجُوج مُفْسِدُون فِي الأرض** }[5]، أو غير محضة كقوله تعالى: {**يا صاحِبي السجن أأَرباب**

([1]) الأزهري، تهذيب اللغة، ص370.

([2]) ابن منظور، لسان العرب (9-362) ط دار الحديث، 1423هـ.

([3]) ابن مالك، ألفية ابن مالك، نشر دار الطميحي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولـى 1423هـ /2002م، ص: 34.

([4]) مريم: 28.

([5]) الكهف: 94.

مُتَفَرِّقُون خَير أَمِ ا ُ الواحِدُ القَهارُ}[1]، وعلل الكسائي نصب هذا النوع بقوله: "وإنما نصب المنادى المضاف لطوله ولأن المنصوبات في كلام العرب أكثر"[2].

و أما ثعلب فقد أجاز في الإضافة غير المحضة بناءها على الضم "لأنها في تقدير الانفصال فلا يكتسب المضاف إليه من المضاف فيها تعريفا ولا تنكيرا"[3].

3. 2. 2 المنادى المضاف إلى ضمير:

وقد ورد منه نوعان في القرآن:

النوع الأول: إضافته إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه أو معه غيره:

مثل قوله تعالى على لسان آدم عليه السلام: { **ربنَا ظَلَمنَا أَنْفُسنَا وإِن لَم تَغْفِر لَنَا وتَرحمنَا لَنَكُونَن مِن الخَاسِرِين**}[4]، وقوله تعالى على لسان إخوة يوسف: {**يا أَبانَا استَغْفِر لَنَا ذُنُوبنَا إِنا كُنا خَاطِئِين**}[5]، وقوله تعالى: {**ربنَا لَولَا أَرسلْتَ إِلَينَا رسُولًا فَنَتَبِع آَياتِك مِن قَبلِ أَن نَذِلَ ونَخْزى**}[6]. وقوله تعالى: { **ربنَا هب لَنَا مِن أَزواجِنَا وذُرياتِنَا قُرةَ أَعينٍ**}[7].وقوله تعالى:{**ربنَا إِنك آَتَيتَ فِرعون وملَأَه زِينَةً** }[8].

النوع الثاني: إضافته إلى ياء المتكلم:

وهو أقسام:

القسم الأول: وروده معتل الآخر بالألف مثل قوله تعالى: {**يا بشْرى هذَا غُلَام** }[9] أو بالياء لكونه جمع مذكر سالم كقوله تعالى: {[**يا بنِي اذْهبوا فَتَحسسُوا**

([1]) يوسف: 39.

([2]) شرح الرضي على الكافية (1-349).

([3]) المصدر السابق (1-358).

([4]) الأعراف: 23.

([5]) يوسف: 97.

([6]) طه: 143.

([7]) الفرقان: 74.

([8]) يونس: 88.

([9]) يوسف: 19.

مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ}[1]، وهذا النوع ذكر العلماء من النحاة أن فيه وجها واحدا وهو النصب كما ذكر ذلك صاحب أوضح المسالك وابن عقيل في شرحه للألفية[2].

القسم الثاني: كونه مضافا إلى ياء مشددة، وذلك كقوله تعالى: {[**قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ**}[3]، وقوله تعالى: {[**يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ**}[4]، وقوله تعالى: { **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**}[5]، وهذا النوع قال فيه شارح الكافية: "إذا كان آخر المضاف إلى ياء المتكلم ياء مشددة كبني قيل يا بني أو يا بني لا غير فالكسر على التزام حذف ياء المتكلم فراراً من توالي الياءات مع أن الثالثة كان يختار حذفها قبل ثبوت الثنتين وليس بعد اختيار الشيء إلا لزومه. والفتح على وجهين: أحدهما أن تكون ياء المتكلم أبدلت ألفاً ثم التزم حذفها لأنها بدل مستثقل. الثاني: أن ثانية ياءي بني حذفت ثم أُدغمت أولاهما في ياء المتكلم ففتحت؛ لأن أصلها الفتح كما فتحت في يدي ونحوه"[6].

القسم الثالث: كونه لفظ أب أو أم: وهذا النوع ذكر النحاة أن فيه عشر لغات إلا أن الوارد منها في القرآن في السور المكية في النداء هو إبدال الياء تاء، والدليل على أنها مبدلة منها أن العرب لا تجمع بينها وبين الياء فلا تقول: يا أبتـي، إلا أن الكوفيين قالوا أن الياء مقدرة بعدها.

وفي التاء فيه قراءتان: الكسر وبها قرأ الجمهور وعلتها أن الكسر عـوض من الكسر الذي يستحقه المضاف، والفتح وبها قرأ ابن عامر وأبو جعفر[7]، وإنمـا

([1]) يوسف: 78.

([2]) انظر أوضح المسالك (4-36) وشرح ابن عقيل (3-274).

([3]) يوسف: 5،

([4]) لقمان: 16.

([5]) الصافات: 102.

([6]) نقلا عن الأشموني، شرح الأشموني، جـ 3، ص: 41.

([7]) انظر: البنا، أحمد بن محمد إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، المسمى: منتهـى الأماني والمسرات، حققه وقدم له: شعبان محمد إسـماعيل، نـشر عـالم الكتـب، جـ 2، ص:143.

فتحت عندهم لأن التاء بدل من ياء حركتها الفتحة فتحريكها بحركـة الأصـل هـو القياس.

وبعض النحاة نصبها على أن هناك ألفا محذوفة منقلبة عن ياء وفتحة يا أبت منقلبة عن كسرة وأصلها: يا أبتا فحذفت الألف وبقيت الفتحة دالة عليها تخفيفا.

وقد ورد هذا اللفظ في القرءان في ثمان مواضع من أربع سور:

أ- موضعان في سورة يوسف، في قوله تعالى: { **يا أَبتِ إني رأيتُ أَحد عشَر كوكبًا والشمس والقمر رأيتُهُم لِي ساجِدِين**}[1]، وقوله تعالى: { **يا أَبتِ هذَا تأْويلُ رُؤْياي** }[2].

ب- أربعة في سورة مريم في قوله تعالى: { **يا أَبتِ لِم تَعبُدُ ما لا يسمعُ**}[3] وقوله تعالى: {**يا أَبتِ إني أَخَافُ أَن يمسك عذَاب مِن الرحمن** }[4] وقوله تعالى: {**يا أَبتِ لا تَعبُدِ الشيطَان**}[5] وقوله تعالى: { **يا أَبتِ إني قَد جاءنِي مِن العِلْمِ ما لَم يأْتِك**}[6].

ج- موضع في سورة القصص وهو قوله تعالى: { **يا أَبتِ استأْجِرهُ** }[7].

د- موضع واحد في سورة الصافات وهو قوله تعالى: { **يا أَبتِ افْعلْ ما تُؤْمرُ**}[8].

---

(1) يوسف: 4.

(2) يوسف: 100.

(3) مريم: 42.

(4) مريم: 45.

(5) مريم: 44.

(6) مريم: 43.

(7) القصص: 26.

(8) الصافات: 102.

وأما لفظ "أم" فقد وردت في القرآن مضافة إلى لفظ "ابن" في قوله تعالى: {**قَالَ يا ابن أُم لَا تَأْخُذْ بِلِحيتِي ولَا بِرأْسِي**}[1] وقوله تعالى: { **قَالَ ابن أُم إِن القَوم استَضعفُونِي**}[2]، وقرئت بفتح الاسمين.

قال الأخفش رحمه ا : "وذلك - وا أعلم - أنه جعله اسما واحدا مثل قولهم "ابن عم أَقْبِلْ" وهذا لا يقاس عليه[3]، وقرئت بكسر لفظ الأم.

قال ابن الجزري رحمه ا تعالى: "واختلفوا في { **ابن أُم** } هنا وفي طه يـا ابن أم فقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بكسر الميم في الـ وجهين وقرأ الباقون بفتحهما فيهما"[4]**.**

القسم الرابع: ما كان اسماً مضافاً إلي ياء المتكلم: من غير ما سبق مثل قوله تعالى: {**يا عِبادِ لَا خَوفٌ علَيكُمُ اليوم**}[5] وقوله تعالى: { **رب أَوزِعنِي أَن أَشكُر نِعمتَك**}[6] وهذا النوع ذكر النحاة أن فيه ست أوجه إعرابية، وقد ورد منها في القرآن:

أ- حذف ياء المتكلم والاكتفاء بكسرة دالة عليها، ومنه قولـه تعـالى: {**يـا عِبـادِ فَاتقُون**}[7] وقوله تعالى: {**رب السجنُ أَحب إِلَي..**}[8] وقوله تعالى: { **يا عِبادِ لَا خَوفٌ علَيكُمُ اليوم** }، وذكر صاحب الدر المصون أن هناك وجها رواه أبو بكر

---

(1) طه، الآية (94).

(2) الأعراف: 150.

(3) الأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، معاني القرآن، دراسة وتحقيق: عبـد الأميـر محمد أمين الورد، نشر عالم الكتب، الطبعة الأولـى 1405هـ ـ 1985م، جـ 2، ص: 624-625.

(4) النشر في القراءات العشر بتحقيق الضباع(2-307)

(5) الزخرف: 68.

(6) النمل: 19.

(7) الزمر: 16.

(8) يوسف: 33.

عن عاصم فيه قراءتها بفتح الياء في هذه الآية[1]، كما أن ابن الجزري ذكر أن الخلاف وقع في روايته بوجهين[2].

ب- إثبات الياء ساكنة وهو وجه في قوله تعالى: {**يا عِبادِ فَاتقُون**}[3] وقد ذكر ابن الجزري أنه اختص به رويس[4].

ج- إثبات الياء مفتوحة، وهذا منه موضعان في القرآن فقط ووردا في سورتين مكيتين هما العنكبوت في قوله تعالى: {**يا عِبادِي الذِين آمنُوا إِن أَرضِي واسِعةٌ**}[5] وفي الزمر في قوله تعالى: {**يا عِبادِي الذِين أَسرفُوا علَى أَنْفُسِهِم لَا تَقْنَطُوا مِن رحمةِ ا ـ**}[6].

قال ابن الجزري: "ولم يثبت في المصاحف من ذلك سـوى موضـعين بـلا خلاف وهما {يا عبادي الذين آمنوا} في العنكبوت {ويا عبادي الذين أسرفوا} آخـر الزمر"[7].

وهذا الوجه والذي قبله بناء على اختلافهم في أيهما أصل في ياء المتكلم الياء أم السكون.

د- حذف الألف المنقلبة عن ياء المتكلم والاجتزاء عنها بالفتحة، وهذه قراءة في قوله تعالى: {**يا حسرةً علَى الْعِبادِ**}[8] وبها قرأ ابن عباس.

قال الحلبي: وقرأ ابن عباس أيضاً "يا حسرةَ" بفتح التاء مـن غيـر تنـوين. ووجهها أن الأصل: يا حسرتا فاجتُزِئ بالفتحة عن الألف كما اجتُزِئ بالكسرةِ عـن الياء. ومنه:

([1]) السمين الحلبي، الدر المصون، جـ6، ص: 106.

([2]) الجزري، النشر في القراءات العشر، الطبعة الثانية 1423هـ/ 2002م، جـ2، ص:241.

([3]) الزمر: 16.

([4]) الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص241.

([5]) العنكبوت: 56.

([6]) الزمر: 53.

([7]) الجزري، النشر في القراءات العشر، ص242.

([8]) يس: 30.

ولَستُ بِراجِعٍ ما فاتَ مِني   بِلَهفَ ولا بِلَيتَ ولا لو أني

أي: بلهفا بمعنى لَهفي[1].

قال العكبري رحمه ا : قوله تعالى { **يا حسرةً** } فيه وجهـان: أحـدهما أن حسرة منادى: أي يا حسرة احضرى فهذا وقتك، و(على) تتعلق بحسرة فلذلك نصبت كقولك: ياضارباً رجلاً، والثاني المنادى محذوف، وحـسرة مـصدر: أي أتحـسر حسرة، ويقرأ في الشاذ "يا حسرة العباد" أي يا تحسيرهم، فالمصدر مـضاف إلـى الفاعل، ويجوز أن يكون مضافاً إلى المفعول: أي أتحسر على العباد[2]**.**

هـ -حذف ياء المتكلم وضم آخر الاسم المضاف إليها كما في قوله تعالى: {**رب السجنُ أَحب إِلَي مِما يدعُونَنِي إِلَيهِ**}[3]، كما ذكره العكبري، وقوله تعالى: {**يا قَومِ إِنما هذِهِ الحياةُ الدنْيا متَاع**}[4]، بضم الميم من قوم وهي قراءة ابن محيصن، قال الدمياطي**:** "وعن ابن محيصن من المبهج { **يا قَومِ**} بضم وكسر الميم وهو في سبعة وأربعين موضعا"[5]**.**

وقال سيبويه رحمه ا : "وبعض العرب يقول: يا رب اغفِر لي، ويا قـوم لا تفعلوا"[6].

و- قلب الياء ألفا بعد قلب الكسرة التي قبلها فتحة، وذلك كقوله تعالى: {**وتَولى عنْهُم وقَالَ يا أَسفَى علَى يُوسُفَ**}[7] وقوله تعالى: { **يا حسرتَا علَى ما فَرطْتُ**

([1]) السمين الحلبي، الدر المصون، ص:259.

([2]) العكبري، أبي البقاء عبد ا بن الحسين بن عبد ا ، إملاء ما من به الرحمن، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، نشر مكتبة ومطبعة الحلبي وأولاده بمصر، ص:498.

([3]) يوسف: 33.

([4]) غافر: 39.

([5]) إتحاف فضلاء البشر، (1-254).

([6]) سيبويه، الكتاب، باب إضافة المنادى إلى نفسك، المجلد الثاني، ص: 213.

([7]) يوسف: 84.

فِي جنْبِ ا ـ }[1] وقوله تعالى: {**يا ويلَتَى ليتَنِي لَم أَتخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا**}[2]، وقوله تعالى: { **يا ويلتَى أَأَلِدُ وأَنَا عجُوز**

وهذَا بعلِي شَيخًا}[3]، والعلة في قلبها ألفا أنهم استثقلوا الياء وقبلها كسرة فيما كثر استعماله وهو النداء فأبدلوا من الكسرة فتحة وكانت الياء متحركة فانقلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها .

وقد ذكر اللغويون فائدة في هذه الآية الأخيرة حيث إنهم قالوا أن النداء هنـا وجه لمن لا يعقل تشبيها له بما يعقل، قال في القاموس: "ويا ءِ نِـداءِ مـا لا يجيـب تَشْبيهاً بِمن يعقِلُ: {**يا حسرةً على العِبادِ** }[4]، { **يا ويلَتَى أَأَلِدُ وأَنَا عجُوز**}[5]".

3 .3 توابع المنادى

ومما يلتحق بتركيب النداء في الجملة ما يتبعه من نعت أو توكيد أو عطـف، وهو عند تقسيمه نجد أنه إما أن يكون مفردا أو مضافا.

فأما المفرد فنجد أن تابعه على أربعة أضرب:

الأول: ما كان واجب الرفع وهو ما جاء بعد اسم الإشارة، وبعد لفظ "أي وأي" وذلك تبعا للمنادى، مثل قوله تعالى: { **أَيها الثقَلَان**}[6] وقوله تعالى: {**يا أَيها الناسُ اتقُوا ربكُمُ..**}[7]، وقوله تعالى: {**يا أَيها الذِين كَفَرُوا لَا تَعتَذِرُوا اليوم** }[8].

الثاني:ما كان واجب البناء على الضم وهو البدل والمعطوف المجرد من أل كما تقول: يا زيد سعيد، ويا عمرو وخالد.

([1]) الزمر: 56.

([2]) الفرقان: 28.

([3]) هود: 72.

([4]) يس: 30.

([5]) القاموس المحيط، فصل الياء، جـ 4، ص408.

([6]) الرحمن: 31.

([7]) النساء: 1.

([8]) التحريم: 7.

قال في شرح الكافية معللاً بناءه: "والضرب الأول – يقصد البدل-كالمنادى المستقل، أي كالمنادى الذي باشره حرف النداء، سواء كانا مفردين، أو، لا، وكان متبوعهما مضموما، أو، لا، فتقول: يا زيد ورجلا إذا قصدت التنكير، كما تقول: يا رجلا، وتقول: يا زيد، ورجل، إذا قصدت التعريف وكذا: يا عبد ا ورجلا، ويا عبد ا ورجل[1].

الثالث: ما يجوز فيه الوجهان وهو ما كان من نعت مفرد أو عطف بيان أو عطف بالحرف

وورد العطف في قوله تعالى: { **يا جِبالُ أَوِبي معهُ والطير** }[2]، قال الأنباري معللا الوجهين: "فإن قيل فلم جاز في المعطوف أيضا الرفع والنصب نحو يا زيد والحارث قيل إنما جاز الرفع والنصب في العطف لما بينا في الوصف من الحمل تارة على اللفظ وتارة على الموضع قال ا تعالى { **يا جبالُ أَوِبي معهُ والطير** }[3] والطير بالرفع والنصب فمن قرأ بالرفع حمله على اللفظ ومن قرأ بالنصب حمله على الموضع"[4].

الرابع: ما يجب نصبه تبعاً لمحل المنادى، وهو كل تابع أضيف مجرداً من "أل"، مثل قولنا: يا زيد صاحب عمرو، وقولنا: يا عمر أبا حفص. قال ابن مالك[5]:

تابع ذي الضم المضاف دون أل ألزمه نصبا كأزيد ذا الحيل.

و أما المنادى المضاف: فإن تابعه أبدا منصوب إلا إن كان بدلا أو معطوفا خاليا من أل مثل قولنا: يا أبا عمرو خالد، يا أبا جعفر وخالد، فهذا قد سبق حكمه في المفرد[1].

([1]) الاسترآباذي، شرح الرضي على الكافية، (1-359).

([2]) سبأ: 10.

([3]) سبأ: 10.

([4]) الأنباري، أسرار العربية للإمام أبي البركات، عني به: محمد بهجت بيطار، نشر مطبعة الترقي بدمشق، 1377هـ - 1957م، ص: 226-227.

([5]) ابن مالك، ألفية ابن مالك فصل في تابع المنادى المضاف، ص: 34.

الفصل الرابع
أساليب بلاغية أخرى في السور المكية

إن من مفاخر اللغة العربية عن بقية اللغات الأخرى هو تعدد التعابير اللغوية عن المعنى الواحد وتعدد أساليب الكلام الموجه للمخاطبين من إيجاز وحذف إطناب وإسهاب وتكرار واختصار وتقديم وتأخير، كل ذلك يسهم في إعطاء اللغة العربية طابعا مرنا يسهل على المتكلم بها التعبير بأخصر العبارات وأطولها في نفس الوقت مع إرادة المعنى الواحد، ويساهم في جعل الكلام متوازنا حسب الموقف الذي يتطلبه من المدح أو الذم أو التعزية أو الرثاء ونحو ذلك.

ومما امتازت به التعبيرات في القرآن عن بقية كلام البشر تنويع الأساليب في الخطاب للمكلفين تبعا لتنوع أحوالهم وظروفهم ودفعا لملل والسآمة عن النفس عند توجيه الخطاب إليها، وقد امتلأ القرآن الكريم بنماذج عدة من هذه الأنواع، ومما يذكر منها تنويعه الأسلوب في مخاطبته للناس أو في سرده القصصي على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا شك أن هذا التنوع له فائدته في ترغيب المخاطب أو ترهيبه حسب الموقف الذي يتطلبه الأمر الموجه إليه فالقرآن معجز في أسلوبه وبلاغته مع أن اللغة التي يستخدمها والتي يستخدمها العرب واحدة وهذا في حد ذاته إعجاز.

و المواضيع البلاغية التي اشتمل عليها القرآن كثيرة جداً، ولكننا سنكتفي من ذلك بثلاثة نماذج، ألا وهي الحذف والتكرار والتقديم والتأخير .

4. 1 الحذف

إن من الحق المقرر أن من أدق الموضوعات البلاغية مسلكا وأدعاها إلى إعمال العقل والفكر هو موضوع الحذف، وذلك لتعدد الأغراض التي تحذف من أجلها الكلمة أو الجملة وعدم انضباطها، كذلك لتعدد المحذوف من جملة خبرية أو

([1]) راجع في هذا التقسيم، الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، راجعه ونقحه: عبد المنعم خفاجة، نشر المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة السابعة 1404هـ، جـ3، ص:146.

إنشائية فعلية أو اسمية، أو كلمة قد تكون اسما أو فعلا، أو حرفا، ولذلك قـال فيـه الجرجاني:"باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق مـا تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن. وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر"[1]. ثم بعد ذلك عرض أمثلة كثيرة تؤيد قوله.

يقول عبد الفتاح لاشين عن عبد القاهر الجرجاني في باب الحذف: "أنـه لـم يبين العلة في حسن هذا الحذف، ولكننا إذا رجعنا إلى نفوسنا نجـد العلـة ونحـس بالسبب، ويقول: أن المحذوف ما يشغل الفكر ويعمل في تحديد المحذوف ومكانـه، فالمعاني بعد أن كانت تأتي من الألفاظ، اشترك العقل في الدلالة عليهـا والإشـارة إليها"[2].

و قبل الشروع في أنواع الحذف الواقع في اللغة لا بد من التقـديم بمقدمـة تشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحذف

المطلب الثاني: بيان أسباب الحذف في الكلام.

المطلب الثالث: الحذف في آيات النداء في السور المكية

4. 1. 1 تعريف الحذف:

الحذف لغة: كما عرفه الخليل: الحذف: قطف الشئ من الطرف كما يحـذف طرف ذنب الشاة والمحذوف: الزق، قال الأعشى:

قاعدا حوله الندامى فما ينـ ـفك يؤتى بموكر محذوف

والحذف: "الرمي عن جانب والضرب عن جانب" [3].

([1]) دلائل الإعجاز في علم المعاني، تأليف: عبد القاهر الجرجاني، تحقيـق: الـدكتور ياسـين الأيوبي، نشر المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ ـ 2000م، ص: 177.

([2]) المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، ص: 51.

([3]) العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، 100-175هـ، تحقيق: دكتور مهـدي المخزومي، ودكتور إبراهيم السامرائي، طبعة 1981م، (3-203).

وقال في اللسان: "حذَفَ الشيء يحذِفُه حذْفاً قَطَعه من طَرفه والحجام يحـذِفُ الشعر من ذلك والحذافةُ ما حذِفَ من شيء فَطُرِح... والحذْفُ يستعمل في الرمـي والضرب معاً"[1].

وقال الرازي في مختار الصحاح: "حذف الشيء إسقاطه، وحذفـه بالعـصا؛ رماه بها، وحذف رأسه بالسيف؛ إذا ضربه فقطع منه قطعة، والحذف بفتحتين غـنم سود صغار من غنم الحجاز، الواحدة حذفة بفتحتـين فـي الحـديث كأنهـا بنـات حذف"[2].

فالمعنى الذي يدور عليه الحذف هو الإسـقاط كمـا قـال الزركـشي فـي البرهان[3].

وأما المعنى الاصطلاحي فكما ذكره الزركشي قال: "إسقاط جزء الكـلام أو كله لدليل. وقد ذكر رحمه ا فرقا دقيقا بين الحذف والإيجاز، فقال: والفرق بينهما أن شرط الحذف والإيجاز أن يكون في الحذف ثم مقدر نحو واسأل القرية بخـلاف الإيجاز فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه".

وفي الفرق بينه وبين الإضمار قال: "الفرق بينه وبين الإضـمار أن شـرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ نحو من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما المنافقين ولم بين انتهوا خيرا لكم أي ائتوا أمرا خيرا لكم وهذا لا يشترط فـي الحذف"[4].

4. 1. 2 بيان أسباب الحذف في الكلام:

ليس كل حذف وقع في اللغة العربية يعتبر مجازا، وقد نص على ذلك ابـن عطية فقال: "وحذف المضاف هو عين المجاز أو معظمه، هذا مذهب سيبويه وغيره

([1]) لسان العرب لابن منظور، مادة (حذف).

([2]) مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، نشر المكتبـة العـصرية، صيدا، بيروت، الطبعة 1427هـ ـ 2006م، ص: 133-134.

([3]) البرهان في علوم القرآن (3-102).

([4]) المصدر السابق، ج3، ص102.

من أهل النظر وليس كل حذف مجازا انتهى وقال الزبخاني عند في المعيار لأنه إنما يكون مجازا إذا تغير بسببه حكم".

وقد وقع خلاف بين البلاغيين في اعتبار الحذف مجازا، وممن ركن إلى أنه مجاز شيخ البلاغيين الجرجاني رحمه ا تعالى كما في كتابه أسرار البلاغة، يقول رحمه ا تعالى مبينا وجه الحذف في قوله تعالى: {**واسأل القَريةَ التِي كُنا فِيها**}[1] ونحوه مما وقع فيه الحذف..

"ولا ينبغي أن يقال: إن وجه المجاز في هذا الحذفُ، فإن الحذفَ إذا تجـرد عن تغيير حكْم من أحكام ما بقي بعد الحذفِ لم يسم مجازاً، ألا ترى أنك تقول: زيد منطلق وعمرو، فتحذف الخبر، ثم لا توصف جملة الكلام من أجل ذلك بأنه مجاز؟ وذلك لأنه لم يؤَد إلى تغيير حكم فيما بقي من الكلام، ويزيده تقريراً أن المجـاز إذا كان معناه: أن تجوز بالشيء موضعه وأصلَه، فالحذفُ بمجرده لا يستحقّ الوصـف به"[2].

وقال الزركشي رحمه ا تعالى حاكيا الخلاف الواقع فـي اعتبـار الحـذف مجازا: "المشهور أن الحذف مجاز وحكى إمام الحرمين في التلخيص عن بعـضهم أن الحذف ليس بمجاز إذ هو استعمال اللفظ في غيـر موضـعه والحـذف لـيس كذلك"[3].

وقال: "والتحقيق أنه إن أريد بالمجاز استعمال اللفـظ فـي غيـر موضـعه فالمحذوف ليس كذلك لعدم استعماله وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره وهـو المجاز العقلي فالحذف كذلك"[4].

4. 1. 3 بيان أسباب الحذف وفوائده في اللغة:

لا شك أن الإنسان تتشوف نفسه لكل مضمر، وكل غائب فهو متشوق لرؤيته لذلك كان للحذف فائدة في شحذ أذهان المستمعين ورسوخه في الذهن عند إيجاده.

([1]) يوسف: 82.

([2]) أسرار البلاغة للجرجاني، مرجع سابق، (الحذف والزيادة).

([3]) البرهان في علوم القرآن للزركشي(3-103)

([4]) المصدر السابق (3-104)

وقد ذكر البلاغيون معاني للحذف يمكن إيجازها في المعاني التالية:

1- التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام، فتذهب النفس في طلبه كل مـذهب فلذلك يعظم شأنه خصوصا إذا تعبت النفوس في البحث عنه.

2- لذة استنباط الأمر المحذوف فكلما كان المحذوف صعب الاستخراج كان لإيجاده حلاوة زائدة.

3- طلب الإيجاز والاختصار، وتحصيل المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة،

4- وقوعه في النفس عند حذفه أكثر من وقوعه لو ذكر، قال الجرجاني كما نقله عنه الزركشي:" ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغـي أن يحـذف فيهـا إلا وحذفه أفضل من ذكره، و در القائل[1]:

إذا نطقت جاءت بكل مليحة وإن سكتت جاءت بكل مليح

5- سمى ابن جني الحذف شجاعة العربية لأنه يشجع على الكلام.قال رحمه ا : "باب في شجاعة العربية: اعلم أن معظم ذلك إنمـا هـو الحـذف، والزيـادة، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف"[2].

وأما أسباب الحذف فقد ذكر الزركشي فيها أكثر من عشرة أسباب، وهي:

1- الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، مثل قولهم: الهـلال وا فحذف المبتدأ وهو هذا لقرينة الحال ولو ذكر لكان عبثا.

2- ضيق الوقت عن الإتيان بالمحذوف غذ الاشتغال به يفوت ما هو أهم منه، كقوله تعالى: { **نَاقَةَ ا ـ وسُقْيَاها**}[3]، نصبت على التحذير أي احذروا ناقة ا .

3- التفخيم والإعظام، وذلك لتقاصر الكلام عن وصفه فحذف تعظيمـا لـه وتهويلا كقوله تعالى:" حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها".فالحذف هنا دليل علـى أن وصف ما وجدوه في الجنة لا يتناهى.

([1]) البرهان (3-105)

([2]) الخصائص لابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، بتحقيق: محمد علي النجار، نشر المكتبـة العلمية، طبعة1411هـ، جـ2، ص:360. (الحذف).

([3]) الشمس: 13.

4- التخفيف لكثرة دورانه على اللسان، قال سـيبويه العـرب تقـول لا أدر فيحذفون الياء والوجه لا أدري لأنه رفع وتقول لم أبل فيحذفون الألف والوجـه لـم أبال ويقولون لم يك فيحذفون النون كل ذلك يفعلونه استخفافا لكثرته في كلامهم .

5- مراعاة الفاصلة، قال تعالى: {**ما ودعك ربك وما قلى**}[1]، والتقدير في غير القرآن قلاك، قال الرماني: "إنما حذفت الياء في الفواصل لأنها على نية الوقف وهي في ذلك كالقوافي التي لا يوقف عليها بغير ياء".

6- صيانة اللسان عنه، كقوله تعالى: {**صُم بُكْم عُمي**}[2]، أي هم صم.

7- حذفه صيانة له كقوله تعالى: {..**فِرعونُ وما رب العالمِين**} بعد إلى قوله: {**قالَ رب المشْرِق والمغْرِبِ وما بينَهُما إِن كُنْتُم تَعقِلُون**}[3] يقول: حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع قبل ذكر الرب أي هو رب السموات وا ربكم وا رب المشرق لأن موسى عليه السلام استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال تهيبا وتفخيما فاقتصر على ما يستدل به من أفعاله الخاصة به ليعرفه أنه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

8- شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء، قال الزمخشري وهو نـوع مـن دلالة الحال حتى التي لسانها أنطق من لسان المقال كقول رؤبة: خيرٍ، جواب مـن قال: كيف أصبحت، فحذف الجار وعليه حمل قراءة حمزة تعالى به والأرحام فـإن لأن هذا مكان شهر بتكرير الجار فقامت الشهرة مقام الذكر[4].

9- دفع أن يتوهم السامع في أول الأمر إرادة شـيء غيـر المـراد كقـول البحتري:

وكم ذدت عني من تحامل حادث وسورة أيام حززن إلى العظم

([1]) الضحى: 3.

([2]) البقرة: 18.

([3]) الشعراء: 23-28.

([4]) البرهان للزركشي (3|106-108).

قصده حززن اللحم، وقصده من حذفه ألا يتوهم السامع أن الحز لم يصل إلى العظم(1).

10-ذكر ابن جني رحمه ا وجها زائدا على ما تقدم في سبب حذف الجملة فقال: "وإنما تحذف الجملة من الفعل الفاعل لمشابهتها المفرد بكون الفاعل في كثير من الأمر بمنزلة الجزء من الفعل؛ نحو ضربت ويضربان، وقامت هند، و{**لتُبلَوُن فِي أموالِكُم**}(2) وحبذا زيد، وما أشبه ذلك مما يدل على شدة اتصال الفعل بالفاعل وكونه معه كالجزء الواحد. وليس كذلك المبتدأ والخبر(3).

4. 2 حذف المفرد

المقصود بالمفرد هنا ما كان اسما أو فعلا أو حرفا، فهو في مقابـل حـذف الجملة، وكل من هذه الثلاثة ورد حذفها في القرآن:

فأما حذف الاسم فقد ورد حذفه وهو مبتدأ أو خبر أو فاعل.قد ذكر غير واحد من العلماء أنواعا له ومنهم الزركشي والسيوطي وأوصلاها إلى ثمانية عشر نوعـا من المحذوفات مما كان اسما.

وسأذكر منها في هذا الباب العمد فقط وهي الفاعل ونائبه والمبتدأ وخبره.

أولاً: حذف المبتدأ**:**

المبتدأ ركن من أركان الجملة الاسمية لا غنى لها عنه، ويحـذف إذا دلـت قرينة عليه ترجح الحذف على الذكر، ومن هذه المرجحات:

1-كون المقام مقام مدح أو ذم، وذلك مثل قوله تعالى: { **كِتَاب أَنْزلْنَاهُ إِلَيك لِتُخْرِج الناس مِن الظُلُماتِ إِلى النور** }(4)، والتقدير هذا كتاب، وقوله تعالى: { **كِتَاب**

---

(1) البلاغة العالية (علم المعاني) لعبد المتعال الصعيدي، نشر مكتبـة الآداب، الطبعـة الثالثـة 1423هـ ـ 2002م. ص:69.

(2) آل عمران: 186.

(3) الخصائص لابن جني (الحذف)، جـ2، ص: 361.

(4) إبراهيم: 1.

أُحكِمتْ آياتُهُ ثُم فُصلَتْ مِن لَدُن حكِيمٍ خبِيرٍ}[1]. أي هذا كتاب، فما وصف به الكتاب من الأوصاف كافية في الاستغناء عن ذكره.

2- قلة الفائدة من ذكر المبتدأ، فيصير من العبث ذكره، مثل قوله تعالى: {**وما أَدراك ما الحُطَمةُ** (5) **نَارُ ا ـ المُوقَدةُ**}[2]، وقوله تعالى: {**وأَصحابُ اليمِين ما أَصحابُ اليمِين** (27) **فِي سِدرٍ مخْضُودٍ**}[3]، التقدير: الحطمة نار ا ، وهم في سدر مخضود، وكذلك في قوله تعالى: {**وقَالُوا أَساطِير الأَولِين اكْتَتَبها فَهي تُملَى علَيهِ بكْرةً وأَصِيلًا**}[4]، وقوله تعالى: { **فَصكتْ وجهها وقَالَتْ عجوز عقِيم**}[5]، والتقدير في غير القرآن: أنا عجوز، ولو ذكر المبتدأ في هذه المواضع لكان تطويلا يصان الكلام عن مثله.

3- الاعتناء بالمبتدأ، وذلك كقوله تعالى: { **لَم يلْبثُوا إِلَّا ساعةً مِن نَهارٍ بلَاغٌ فَهلْ يُهلَكُ إِلَّا القَومُ الفَاسِقُون**}[6]، قال ابن عاشور رحمه ا تعالى: {**هذَا بلَاغٌ** }[7]، على طريقة العنوان والطالع نحو ما يكتب في أعلى الظهير: «ظهير من أمير المؤمنين»، أو ما يكتب في أعلى الصكوك نحو: «إيداع وصية»، أو ما يكتب في التآليف نحو ما في «الموطأ» «وقوت الصلاة» . ومنه ما يكتب في أعالي المنشورات القضائية والتجارية كلمة: «إعلان»"[8] .

ومثله قوله تعالى: {**سُورةٌ أَنْزلْنَاها وفَرضنَاها** }[9]، والتقدير هي سورة.

ثانياً: حذف الخبر:

([1]) هود: 1.

([2]) الهمزة: 5-6.

([3]) الواقعة: 27-28.

([4]) الفرقان: 5.

([5]) الذاريات: 29.

([6]) الأحقاف: 35.

([7]) إبراهيم: 52.

([8]) التحرير والتنوير، مرجع سابق، المجلد العاشر، جـ26، ص: 67-68.

([9]) النور: 1.

كما يحذف المبتدأ لأغراض بلاغية يحذف قسيمه في الجملة لمعان منها:

1- أن يتقدم ما يدل عليه في الكلام مثل قوله تعالى: { **أُكُلُها دائِم وظِلها**}[1]، وقوله تعالى: { **واللائِي يئِسن مِن المحِيض مِن نِسائِكُم إِن ارتَبتُم فَعِدتُهُن ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ واللائِي لَم يحِضن**}[2]، والتقدير: وظلها دائم، واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر.

2- أن تختلف وجهات النظر فيكثر المعنى ويتعدد، كما فيقوله تعالى: { **أَفَمن شَرح ا ُ صدرهُ لِلإِسلامِ فَهُو على نُورٍ مِن ربهِ فَويلٌ لِلْقَاسِيةِ قُلُوبُهُم مِن ذِكْرِ ا ِ** }[3]، فقد قدره الزمخشري هنا: "أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين"، ونقل النسفي عن الزجاج أن معناه أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرات فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه[4].

أو يكون التقدير: أفمن زين له سوء عمله كمن هداه ا ، فحذف لدلالة فإن ا يضل من يشاء ويهدي من يشاء .

ثالثًا: حذف الفاعل:

ذكر الزركشي رحمه ا تعالى: "أن الفاعل يحذف ويقام المفعول به مقامـه لأسباب منها[5]:

1- العلم به كقوله تعالى: {خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَـلٍ} ونحن نعلم أن ا خالقه، قال ابن جني: وضابطه أن يكون الغرض إنما هو الإعلام بوقوع الفعـل بـالمفعول ولا غرض في إبانة الفاعل من هو

2- تعظيمه كقوله علي الأمر الذي في تستفتيان حتى إذ كان الـذي قـضاه عظيم القدر وقوله وغيض الماء وقضي قال الزمخشري: كأن طـي ذكـر الفاعـل كالواجب لأمرين أنه إن تعين الفاعل وعلم أن الفعل مما لا يتولاه إلا هو وحده كان

([1]) الرعد: 35.

([2]) الطلاق: 4.

([3]) الزمر: 22.

([4]) تفسير النسفي، مرجع سابق، ص: 683.

([5]) راجع البرهان، مرجع سابق (3|144-145).

ذكره فضلا ولغوا والثاني الإيذان بأنه منه غير مشارك ولا مدافع عن الاستئثار بـه والتفرد بإيجاده وأيضا فما في ذلك من مصير أن أسمه جدير بأن يصان ويرتفع بـه عن الابتذال والامتهان وعن الحسن لولا أني مأذون لي في ذكر اسمه لربأت وإن به عن مسلك الطعام والشراب.

3- مناسبة الفواصل نحو لأحد عنده من نعمة تجزى كما ولم يقل يجزيها.

4- مناسبة ما تقدمه كقوله في سورة براءة هو بأن يكونـوا مـع الخوالـف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وسلم لأن قبلها أنزلت سورة عنه على بناء الفعـل للمفعول فجاء قوله ليناسب بالختام المطلع بخلاف قوله فيما بعدها.

وطبع ا على قلوبهم فهم لا يعلمون إن فإنه لم يقع قبلها ما يقتـضى البنـاء فجاءت على الأصل.

5- الإيجاز والاختصار، كقوله تعالى: {**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** }[1]، والتقدير في غير القرآن بمثل ما عاقبكم الناس به[2].

وقد ذكر أن ما كان من قوله تعالى: {**فإذا نزل بساحتهم** }[3]، وقوله تعالى: {**فلما جاء سليمان**}[4]، وقوله تعالى: {**فلولا إذا بلغت الحلقوم**}[5]، وقوله تعالى: { **حتى توارت بالحجاب**}[6]، أنه ليس من باب الحذف وإنما من باب الإضمار.

بينما يرى الدكتور عبد العظيم المطعمي أن هذا من باب الحـذف وذكـر أن سبب ذلك هو ضيق المقام ففي المثال الأخير نجد أن المقام مقام تحسر وتندم، وفـي الذي قبله مقام الموت ووصف ما يعترض المحتضر من عوارض الموت[1].

([1]) النحل: 126.

([2]) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، تأليف فضل حسن عباس، نشر دار الفرقـان للنـشر والتوزيع، الطبعة السابعة، ص:276، وانظر: البلاغة الاصطلاحية، للـدكتور عبـده عبـد العزيز قلقلة، نشر دار الفكر العربي، الطبعة الرابعـة 1421هـ ـ ـ 2001م، ص: 190-191.

([3]) الصافات: 177.

([4]) النمل: 36.

([5]) الواقعة: 83.

([6]) ص: 32.

و أما حذف الفعل فقد ورد حذف في القرآن لأسباب منها:

1- أن يكون جوابا لسؤال مقدر، كقوله تعالى: {**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ا ُ أَن تُرفَع وَيُذْكَر فِيها اسمُهُ يُسبحُ لهُ فِيها بِالغُدُو والآصال** (36) **رِجالٌ لا تُلْهيهم تِجارةٌ ولا بيع عن ذِكْرِ ا ِ** }[2]، قرئت يسبح ببنائها للمعلوم ولما لم يسم فاعله، وعلى الأخيرة لا يصلح جعل رجال نائب فاعل له فدل على أن هناك محذوفا فكأن سائلا سأل من المسبح؟، فجاء الجواب: رجال، وقوله تعالى: {**ولِئِن سأَلْتَهُم من خَلَقَ السماواتِ والأرض ليقُولُن ا ُ** }[3] والتقدير خلقهن ا .

2- الاختصاص وتقوية الحكم، وذلك أن هناك أدوات لا تدخل إلا على الجمل الفعلية فإذا جاء بعدها اسم فلا بد من كونه فاعلا لمبتدأ محذوف، مثل هذا في القرآن قوله تعالى: {**إِذَا السماءُ انْشَقتْ**}[4]، وقوله تعالى: {**إِذَا الشمسُ كُورتْ**}[5] وقوله تعالى: {**إِذَا السماءُ انْفَطَرتْ**}[6][7].

3- الاكتفاء بما قبله من فعل سبقه، مثل قوله تعالى: { **فَأَجمِعُوا أَمركُم وشُركاءكُم**}[8]، والتقدير وادعوا شركاءكم، وقوله تعالى: { **وامسحُوا بِرُءُوسِكُم وأَرجُلَكُم إِلى الكَعبين** }[9]، والتقدير واغسلوا أرجلكم.

4- ما كان من قبيل التحذير والإغراء كقوله تعالى: { **يا أَيها الذِين آمنُوا عليكُم أَنْفُسكُم** }[10]، أي إلزموا أنفسكم، وقوله تعالى: { **انْتَهُوا خَيرًا لكُم** }[1]، أي واصنعوا خيرا لكم.

([1]) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مرجع سابق، 32/2- 33.

([2]) النور: 36-37.

([3]) لقمان: 25.

([4]) الانشقاق: 1.

([5]) التكوير: 1.

([6]) الانفطار: 1.

([7]) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) مرجع سابق، ص:283.

([8]) يونس: 71.

([9]) المائدة: 6.

([10]) المائدة: 105.

و أما حذف الحرف فقد ورد منه الكثير في القرآن الكريم، سواء مما كان من حروف الجر أو حرف النداء "يا" أو حروف العطف وغيرها، فمما حذف من حروف العطف: الواو كما في قوله تعالى: { **حتى إِذَا جاءُوها فُتِحتْ أَبوابُها** }، والدليل على ذلك ذكرها في موضع مماثل وهو كما بعدها في قوله تعالى: { **وقَالَ لَهُم خَزنَتُها سلَام علَيكُم**}[2].

وقد ذكر الدكتور المطعمي تعليلا لذلك وهو أن الحذف في الأولى دل علـى أن أبواب جهنم فتحت حين جاءوها لأن جهنم سجن وذلك شأنه عليه حراس شـداد وأبواب محكمة الإيصاد، وأما في الجنة فللترحيب بهم فتحت الأبواب قبل مجيئهم.

ومثله قوله تعالى: { **وإِذْ نَجينَاكُم من آلِ فِرعون يسومونَكُم سوء العذَابِ يذَبحون أَبنَاءكُم ويستَحيون نِساءكُم**}[3]، حذفت الواو عند قوله تعالى: { **يذَبحون**} بدليل وجودها في موطن آخر في قوله تعالى: { **يذَبحون أَبنَاءكُم**} في سورة إبراهيم. ولعل العلة في ذكر الواو هنا هو أنه تعالى أراد تذكير بني إسرائيل بما عانوه من التقتيل والتشريد فأراد أن ينبهم ويذكر ما نجاهم منه من الأنواع العذاب فجعل التذبيح غير سومهم بالعذاب.

وكذلك قوله تعالى: {**سيقُولُون ثَلَاثَةٌ رابِعهم كَلْبهم ويقُولُون خَمسةٌ سادِسهم كَلْبهم رجما بِالْغَيبِ ويقُولُون سبعةٌ وثَامِنُهم كَلْبهم**}[4]، دلت الواو الأخيرة على حذف الواو من المواضع السابقة.

وكذلك قوله تعالى: {**التائِبون الْعابِـدون الْحامِـدون الـسائِحون الراكِعـون الساجِدون الْآمِرون بِالمعروفِ والناهون عن الْمنْكَرِ والْحافِظُون لِحـدودِ اللـهِ**}[5]،

([1]) النساء: 171.

([2]) الزمر: 73.

([3]) البقرة: 49.

([4]) الكهف: 22.

([5]) التوبة: 112.

دلت الواو الأخيرة على حذفها فيما سبق، وجعلها بعضهم واو الثمانية فـي هـذين الموضعين إلا أن ابن المنير رد هذا القول وجعله باطلاً[1].

ومما حذف من حروف النداء الياء وقد سبق أنه لم ينادى بغيرها في القرآن، ومما حذف منها في القرآن قوله تعالى: {**يُوسُفُ أَعرِض عن هذَا** }[2]، { **رب إني وهن العظْمُ مِني**}[3] ونحو ذلك مما سبق في الفصل الثالث.

ومما حذف من حروف الجر: الباء كما في قوله تعالى: { **جاءُوا بِالبينَاتِ والزبُرِ والْكِتَابِ الْمُنِير** }[4]، وقوله تعالى: { **جاءتْهُم رُسُلُهُم بِالبينَاتِ وبِالزبُرِ وبِالْكِتَابِ الْمُنِير** }[5] وقد ذكر حرف الجر في سورة فاطر في قوله تعالى: { **جاءتْهُم رُسُلُهُم بِالبينَاتِ وبِالزبُرِ وبِالْكِتَابِ الْمُنِير** }.

ومنها: من كما في قوله تعالى: {**يا أَيها الَّذِين آمنُوا هلْ أَدُلُّكُم علَى تِجارةٍ تُنْجِيكُم مِن عذَابٍ أَلِيمٍ** (10) ... **يغْفِر لَكُم ذُنُوبكُم** }[6]، وورد ذكرها في قوله تعالى: { **يدعُوكُم لِيغْفِر لَكُم مِن ذُنُوبِكُم** }[7].

قال الزمخشري رحمه ا في هذا الحذف: " قلت: ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين، كقوله: {**واتقوه وأَطِيعُون يغْفِر لَكُم من ذُنُوبِكُم**}، {**ياقومنا أَجِيبُـوا داعي ا وءامِنُواْ بِهِ يغْفِر لَكُم من ذنوبكم**} وقال في خطاب المؤمنين: {**هلْ أَدُلُّكـم على تجارة تُنجِيكُم من عذَابٍ أَلِيمٍ**}، إلى أن قال: {**يغْفِر لَكُم ذُنُوبكُم**}، وغير ذلك مما يوقفك عليه الاستقراء، وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين، ولئلا يسوي بين الفـريقين في الميعاد[8].

([1]) راجع الكشاف مع الحاشية، مرجع سابق، جـ2، ص: 524-525.

([2]) يوسف: 29.

([3]) مريم: 4.

([4]) آل عمران: 184.

([5]) فاطر: 25.

([6]) الصف: 10-12.

([7]) إبراهيم: 10.

([8]) الكشاف، للزمخشري، مرجع سابق، جـ2، ص: 399.

ومما ذكره الزركشي من الأمثلة على حذف حرف الجر وإيصال الفعل إلى المجرور قوله تعالى: {**موسى قومه**} أي من قومه {**ورفع بعضهم درجات**}، {**ولا تعزموا عقدة النكاح**} أي على عقدة"، وقوله تعالى: { **إنما ذَلِكُمُ الشيطَانُ يُخَوِفُ أَولياءَهُ** }[1] أي يخوفكم بأوليائه، ولذلك قال: {**فلا تخافوهم**}، وقوله تعالى: { **ويبغُونَها عِوجًا** }[2] أي يبغون لها[3].

4. 3 حذف الجملة

حذف الجمل شائع في اللغة العربية والقرآن وهو من أساليب الإيجاز دفعـا للتكرار في الكلام، وقد ورد الحذف للجمل في القرآن إما جملا متعـددة أو جملـة واحدة .

يقول الزركشي فيما حذف منه جمل في الكلام: "وقد يكون المحذوف أكثر من جملة كقوله تعالى: {**فأرسلون**} وكان يوسف روى الآية فإن التقدير "فأرسلون إلـى يوسف لأستعبره الرؤيا" فأرسلوه إليه لذلك فجاء فقال له يا يوسف وإنما قلنا إن هذا الكل محذوف لأن قوله "أرسلون" بين يدل لا محالة على المرسل إليه فثبت أن إلـى يوسف محذوف.

ثم إنه لما طلب الإرسال إلى يوسف عند العجز الحاصل للمعبرين أهل عن تعبير رؤيا الملك دل ذلك على أن المقصود من طلب الإرسال إليه استعباره حديث الرؤيا التي عجزوا عن تعبيرها، ومنه قوله تعالى: {**اذْهب بِكِتَابِي هذَا فَأَلْقِهِ إِليهم** }[4] الآية فأعقب بقوله حكاية عنها عند { **يا أَيها الملأُ إني أُلْقِي إِلَي كِتَاب كَرِيم**] }[5] لأنه تقديره فأخذ الكتاب فألقاه إليهم فرأته بلقيس وقرأته يأيها الملأ وقوله: {**يا يحيى**

([1]) آل عمران: 175.

([2]) الأعراف: 45.

([3]) البرهان في علوم القرآن (3-215-216).

([4]) النمل: 28.

([5]) النمل: 29.

خُذِ الكِتَاب بِقُوةٍ وآتَيناهُ الحُكْم صبِيا}[1]، "يا" حذف يطول تقديره فلما ولد يحيى ونشأ وترعرع قلنا يا يحيى خذ الكتاب بقوة، ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم موسى: {[**قَالُوا لَن نَبرح علَيهِ عاكِفِين حتى يرجِع إِلَينَا موسى** (91) **قَالَ يا هارُونُ ما منَعك إِذْ رأَيتَهُم ضلوا (92) أَلا تَتبِعن أَفَعصيتَ أَمرِي**}[2]، وقوله: { **فَلَما رآَه مستَقِرا عِنْدَه** }، إلى قوله: { **نَكرُوا لَها عرشَها** }[3][4].

وحذف الجملة يمكن تقسيمه إلى قسمين: الجملة الخبرية، والجملة الإنشائية.

فمن حذف الجملة الخبرية قوله تعالى: { **أَيحِب أَحدُكُم أَن يأْكُلَ لَحم أَخِيهِ ميتًا فَكَرِهتُموه**}[5]، والمحذوف هنا كما قال الفارسي: فاكرهوا الغيبة، وكانت الآية بعدها معطوفة على المحذوف وهي: { **فَاتقُوا ا** } [6].

وقوله تعالى: {**إِنا قَد أُوحِي إِلَينَا أَن العذَاب علَى من كَذب وتَولى** (48) **قَالَ فَمن ربكُما يا موسى**}[7]، والتقدير هنا فذهبا إليه فقالا له ذلك فقال لهم من ربكما .

وكذلك قوله تعالى: {[**أَفَمن شَرح ا صدره لِلْإِسلَامِ فَهُو علَى نُورٍ مِن ربهِ فَويلٌ لِلْقَاسِيةِ قُلُوبهُم مِن ذِكْرِ ا** }[8]، والتقدير هنا كمن قسا قلبه فترك على ظلمه وكفره.

وقوله تعالى: { **إِني جاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجعلُ فِيها من يفْسِد فِيها ويسفِك الدماء**}[9]، والتقدير في الأرض خليفة يعمل كذا وكذا فيها ويدل على ذلك سؤال الملائكة { **أَتَجعلُ فِيها من يفْسِد فِيها**...}.

([1]) مريم: 12.

([2]) طه: 91-93.

([3]) النمل: 40-41.

([4]) البرهان للزركشي (194/3-195).

([5]) الحجرات: 12.

([6]) آل عمران: 50.

([7]) طه: 48-49.

([8]) الزمر: 22.

([9]) البقرة: 30.

قال ابن عاشور رحمه ا تعالى: "والذي أقدم الملائكة على هذا السؤال أنهم علموا أن ا لما أخبرهم أراد منهم إظهار علمهم تجاه هذا الخبر"[1].

و أما الجملة الإنشائية: هي أنواع منها:

1. حذف جواب الشرط كقوله تعالى: { **فَإِن اسْتَطَعتَ أَن تَبتَغِي نَفَقًا فِي الأَرضِ أَو سُلَّمًا فِي السماءِ فَتَأْتِيهُم بِآيةٍ** }[2]، والتقدير في غير القرآن "فافعل".

وقوله تعالى: {**وإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتقُوا ما بين أَيدِيكُم وما خَلْفَكُم لَعلَّكُم تُرحمُون**}[3]، والتقدير أعرضوا عن ذلك.

وقوله تعالى: {**ولَو تَرى إِذِ الْمُجرِمُون نَاكِسُو رُءُوسِهِم عِنْد ربهِم** }[4]، والتقدير لرأيت أمرا شنيعا مهولا.

وقوله تعالى: { **ولَولَا رِجالٌ مُؤْمِنُون ونِساء مُؤْمِنَاتٌ لَم تَعلَمُوهُم أَن تَطَئُوهُم** }[5]، والتقدير لسلطكم عليهم في مكة.

2. حذف القسم، وهو كثير في القرآن كقوله تعالى: {**لَأُعذِّبنَّهُ عذَابا شَدِيدًا أَو لَأَذْبحنَّهُ**}[6]، أي أقسم با . وقوله تعالى: { **لَيُسجنَن ولَيكُونًا مِن الصاغِرِين**}[7].

3. حذف جواب القسم، كقوله تعالى: {**والنازِعاتِ غَرقًا**}[8] أي لتبعثن كما قال السيوطي في الإتقان، وقوله تعالى: {**ق والْقُرآنِ الْمجِيدِ**}[9]، أي ليس الأمر كما زعموا.. وقوله تعالى: {**ص والْقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ**}[10]، التقدير إنه لمعجز"[1].

([1]) التحرير والتنوير، مرجع سابق، جـ 1، ص: 401.

([2]) الأنعام: 35.

([3]) يس: 45.

([4]) السجدة: 12.

([5]) الفتح: 25.

([6]) النمل: 21.

([7]) يوسف: 32.

([8]) النازعات: 1.

([9]) ق: 1.

([10]) ص: 1.

4 .4 أسلوب التكرار

لقد شهد القرآن أنماطا متكررة في الأساليب الخطابية سواء منها القصصية أو التي تتعلق بالأوامر والنواهي أو بالحث أو الزجر كل ذلك يتكرر وقوعه في القرآن مع عدم وقوع الملل أو السآمة من سماعه، فكم من قصص الأنبياء تكـرر كقـصة موسى على سبيل المثال لا الحصر ذكرت في المكي والمدني في المفصل والطوال والمثاني وفي كل مرة تسمع أسلوبا شيقا في السرد القصصي، ومثل ذلك يقال فـي الإرشادات الإلهية من أمر أو نهي ومثال ذلك الصلاة فقد تنوع الأمر بها والتنبيـه على أهميتها، ولو أن إنسانا أعطي موضوعا يتحدث فيه لأفرغ كل ما في جعبته من المعاني والبلاغة في ساعتين ثم بعد ذلك يصبح التكرار السمة الواضحة في خطابه فكيف بالقرآن الذي تعدت آياته عن الستة آلاف آية، أليس هذا في حد ذاته إعجـازا بلاغيا!!!.

قال الزركشي رحمه ا تعالى: "وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظنا أنه لا فائدة له وليس كذلك بل هو من محاسنها لاسيما إذا تعلق بعضه بـبعض وذلك أن عادة العرب في خطاباتها أخبرنا إذ أبهمت بـشئ إرادة لتحقيقـه وقـرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيدا وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه أو الاجتهاد في الدعاء عليه حيث تقصد الدعاء وإنما نزل القـرآن بلـسانهم وكانـت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض وبهذا المسلك تستحكم الحجة علـيهم فـي عجزهم عن المعارضة وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكـرار المـواعظ والوعـد والوعيد لأن الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة وكلها داعية إلى الشهوات ولا يقمع ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع"[2].

ويمكن تقسيم الكلام على التكرار في ثلاثة مطالب: تعريف التكرار، وفوائده، وأنواعه.

([1]) انظر هذه الأمثلة في الإتقان للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفـضل إبـراهيم، نـشر المكتبـة العصرية، بيروت، ج4، ص:51.

([2]) البرهان للزركشي (9/3)

4. 4. 1 تعريف التكرار:

التكرار مصدر من كرر إذا ردد وأعاد، قال ابن فارس**:** "الكاف والراء أصلٌ صحيح يدل على جمعٍ وترديد. من ذلك كَررت، وذلك رجوعك إليـه بعـد المـرة الأولى، فهو الترديد الذي ذكرناه"[1].

وقال ابن منظور: "كرر الشيء وكركره َأعاده مرة بعد ُأخرى والكرةُ المـرةُ والجمع الكرات ويقال كررتُ عليه الحديث وكركرتُه ِإذا رددته عليه وكركرتُه عـن كذا كركرةً ِإذا رددته والكر الرجوع على الشيء ومنه التكْرار"[2].

قال الجوهري: "الكر الرجوع، وبابه ويقال: كره وأكر بنفسه يتعدى ويلـزم، وكرر الشيء تكراراً أيضاً بفتح التاء، وهو مصدر وبكسرها وهو اسم. وفي الجملة نحو: {**فَإِن مع الْعُسرِ يُسرًا**}"[3].

وقد ذكر رحمه ا فرقا بينه وبين التأكيد فقال: "وقد قرر الفرقَ بينهما جماعةٌ من علماء البلاغة . ومما فرقوا به بينهما: أن التأكيد شَرطُه الاتصال وأن لا يـزاد على ثلاثة والتكْرار يخالِفُه في الأمرين ومن ثم بنَوا على ذلك أن قَولُـه تَعـالى: {**فَبِأَي آلَاءِ ربكُما تُكَذِّبانِ**}[4] تَكْرار لا تأكيد لأنها زادتْ على ثلاثة وكذا قولُه تعالى: {**ويلٌ يومئِذٍ لِلْمُكَذِّبِين**}[5]".

وفرق بين التكرار والإعادة، ويعرف أبي البقاء أيوب بن موسـى الحـسيني التكرار بقوله: "إعادة الشيء فعلاً كان أو قولاً وتفسيره بذكر الشيد مرة بعد أخرى"، ويقول: "بأن التأكيد اللفظي هو تكرار اللفظ إما بمرادف، نحو: {**ضيقًا حرجًا** } فـي

([1]) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن بن فارس بن زكريا، (126/5) تحقيق عبد السلام هـارون ط اتحاد الكتاب العرب، نشر مطبعة الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية 1392هـ ـ 1972م.

([2]) لسان العرب لابن منظور (مادة كرر)، ج7، ص33.

([3]) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللفظية لأبي البقاء أيـوب بـن موسـى الحـسيني الكنوي، تحقيق: دكتور عدنان درويش محمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1412هـ ـ 1992م، ص:267-268، والآية من الإنشراح: 5.

([4]) الرحمن: 14.. وما بعدها..

([5]) تاج العروس (مادة كرر)، والآية من المرسلات: 15، وما بعدها..

سورة الأنعام الآية: 125، بكسر الراء والعرب تقدم الأشهر، ثم تؤكده وإما بلفظـه ويكون في الاسم نحو قوله تعالى: { **دكًا دكًا**} في سورة الفجر، الآيـة: 21، وفـي الفعل نحو: {**فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا**} في سورة الطارق، الآية: 17، وفي اسم الفعل نحو: {**هيهاتَ هيهاتَ لما توعدُون**} في سورة المؤمنون، الآيـة: 36، وفـي الحرف، نحو: { **ففي الجنة خالدين فيها** } في سورة هود، الآية: 107".

4. 4. 2 فوائد التكرار:

يقول ابن الأثير رحمه الله تعالى: "واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدا له، وتشييدا من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك، إما مبالغة في مدحه أو في ذمه، أو غير ذلك، ولا يأتي إلا فـي أحـد طرفي الشيء المقصود بالذكر، والوسط عار منه، لأن أحد الطرفين هو المقـصود بالمبالغة إما بمدح أو ذم أو غيرهما، والوسط ليس من شرط المبالغة، وغير المفيـد لا يأتي في الكلام إلا عيا وخطلا من غير حاجة إليه"(1).

وقال ابن فارس رحمه الله تعالى: "ومن سنن العرب التكرير والإعـادة إرادةَ الإبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال الحارث بن عباد:

قرّبا مربط النعامةِ منّي   لَقِحتْ حرب وائلٍ عن حِيال

فكرر قوله: قرّبا مربط النّعامة مني في رؤوس أبيات كثيرة عنايـة بـالأمر وأراد الإبلاغ في التنبيه والتحذير"(2).

وقد ذكر الزركشي رحمه الله تعالى سبع فوائد للتكرار الحاصل في القـرآن وهي:

1- التأكيد، والتكرير كما قال ابلغ من التأكيد، لأنه وقع في تكرار التأسـيس وهو أبلغ من التأكيد فإن التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز.

2- زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، ليكمل تلقي الكلام بالقبول.

---

(1) المثل السائر لابن الأثير (147/2)

(2) الصاحبي في العربية وسنن العرب في كلامها، فقه اللغة ومسائلها، لأبي الحسن أحمـد بـن فارس بن زكريا الرازي، اللغوي، حققه عمر فـاروق الطبـاع، (بـاب التكـرار)، مكتبـة المعارف، الطبعة الأولى، 1421هـ- 1393م، ص213.

3- إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانيا تطرية له وتجديدا لعهده.

4- كون المقام مقام تهويل وتعظيم.

5- كون المقام مقام تهديد ووعيد.

6- التعجب من الأمر .

7- تعدد المتعلق، كما في سورة الرحمن.

ثم ذكر رحمه ا خصائص للتكرير في السرد القصصي وهي أربع:

1- مع تكرارها لم يقع في اللفظ هجنة ولا مللا فغاير كلام المخلوقين من هذا الجانب.

2- ما يقع فيها من التقديم والتأخير والزيادة والنقص يكسبها نوع تجديد يخرجها عن التكرار اللفظي الممل.

3- تفرق معاني القصة في مواضع مختلفة تجعل من الإنسان البليغ ميلا لسماعها لما فطرت عليه النفوس من حب التنقل في الأشياء الجديدة.

4- ظهور البيان العجيب في إخراج صور متعددة من قصة واحدة مما جعل كثيرا من مشركي قريش يتعجبون منه ومن حسنه[1].

4. 4. 3 أنواع التكرار:

عند الكلام على التكرار هنا لا بد من التنبه لأمر مهم، وهو أن التكرار قد يقع على مستوى القرآن بأسره، وقد يقع على مستوى السورة، وهذا النوع الأخير شاع كثيرا في السور المكية في الفواصل فيها كما نجده في سورة القمر والرحمن والمرسلات.

و قد ذكر الأستاذ المطعمي تقسيما للتكرار باعتبار الشيء المكرر فجعله على وجوه:

1- تكرار الأداة في الجملة بعد أن تستوفي ركنيها.

2- تكرار الكلمة مع أختها لداع بحيث تفيد معنى لا يمكن تحصيله بدونها .

3- تكرار الفاصلة في السورة الواحد على نمط واحد.

4- تكرار القصة في مواضع عدة مع اختلاف طرق صياغة القصة.

([1]) البرهان للزركشي (3/27-28)

5- تكرار الأوامر والنواهي مما تقرر حكما شرعيا أو ترغب فيه أو تزهد في معصية وتنفر منها[1].

بينما نجد أن ابن الأثير رحمه الله تعالى قسمه تقسيما باعتبار نوعه، فجعله: تكرار في اللفظ والمعنى، وتكرار في المعنى دون اللفظ، وكل منهما قسمان مفيد وغير مفيد[2].

وتقسيم ابن الأثير رحمه الله أوسع شمولا من تقسيم الدكتور المطعمي لأنه تقسيم كلي تندرج تحته جزئيات، بينما تقسيم الدكتور ذكر لجزئيات في أنواع التكرار، ويمكن لنا أن ندمج بين التقسيمين فنجعل تقسيم ابن الأثير كليا يندرج تحته تقسيم الدكتور المطعمي. إلا أن ما ذكره من القسم الغير مفيد غير موجود في القرآن، وقد قال ابن الأثير رحمه الله تعالى: "وبالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره، فإن رأيت شيئا منه تكرر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه، فانظر إلى سوابقه ولواحقه، لتنكشف لك الفائدة منه"[3].

4. 4. 4 التكرار في جملة المنادى

مما المعلوم لدى الأنفس أن تكرار الأمر على النفس يكسبها ميلا وركونا إليه حتى يصبح من المقرر لديها إن كان معلومة، أو تستمرئوه إن كان عيباً أو أمراً شيناً، أو تتقبله إن كان أمرا أو نهيا، كما أن تكرار طلب الشيء والإصرار مظنة إجابته، وقد قال القائل:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وليس مقصودنا هنا تكرار لفظ المنادى بحرف نداء واحد كقولهم: يا تيم تيم عدي، فهذا له بابه في النحو، وإنما قصدنا تكرار النداء بأداته للمخاطب وما في ذلك من البلاغة القرآنية.

([1]) خصائص التعبير القرآني، ج1،(ص 321).

([2]) بن كرم، ضياء الدين نصر، المثل السائر ، تحقيق عبد المنعم خفاجة، سنة الطبع 14هـ، طبعة دار أحياء التراث، بيروت،(2-146).

([3]) المثل السائر لابن الأثير (149/2).

وقد استخدم كثير من الرسل عليهم الصلاة والسلام هذا الأسلوب في دعـوة قومهم على الدين خصوصا ممن لقي الجدال منهم، فهذا خليـل الله إبـراهيم عليـه السلام نظرا لمكانة أبيه يخاطبه ملينا قلبه للدين بقوله: { **يا أَبتِ لِم تَعبُدُ ما لا يسمعُ ولا يُبصِرُ ولا يُغْنِي عنْك شَيئًا**}[1] فكان نداؤه له في الأول على سبيل المحاجة، قال العلامة الألوسي: "ولقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج واحتج عليه أبـدع احتجاج بحسن أدب وخلق ليس له منهاج لئلا يركب متن المكابرة والعنف ولا ينكب بالكلية عن سبيل الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقـل من عالم وجاهل ويأبى الركون إليه فضلاً عن عبادته التي هي الغاية القاصية مـن التعظيم مع أنها لا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العـام الخـالق الـرازق المحيي المميت المثيب المعاقب"[2].

و قد ذكر نبي الله إبراهيم عليه السلام ثلاثة أمور وهـي الـسمع والبـصر والقدرة، قال أبو حيان: "فمن عدم هذه المدارك الثلاثة كان من الـذم فـي الرتبـة القصوى، ولذلك لما أراد إبراهيم، على نبينا وعليه السلام، المبالغة في ذم آلهة أبيه قال: {**يا أَبتِ لِم تَعبُدُ ما لا يسمعُ ولا يُبصِرُ ولا يُغْنِي عنْك شَيئًا**}"[3].

ثم نجده يثبت لأبيه أنه أعلم منه وإن كان أبوه أكبر سنا فيقول: { **يا أَبتِ إِني قَد جاءنِي مِن الْعِلْمِ ما لَم يأْتِك** } فناداه معلما له ومخبرا له بأنه أعلم منه ولـذلك قـال له:{ **فَاتبِعنِي أَهدِك صِراطًا سوِيا**}[4]، ثم حذره من اتباع الشيطان المفضي لنار جهنم فقال: {**يا أَبتِ لَا تَعبُدِ الشيطَان إِن الشيطَان كَان لِلرحمنِ عصِيا**} [5] الآيات.

قال النسفي: "فطلب منه أولاً العلة في خطئه طلب منه على تماديـه مـوقظ لإفراطه وتناهيه... ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقاً به متلطفاً، فلم يسم أباه بالجهـل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال: إن معي شيئاً من العلم ليس معك وذلك علم

([1]) مريم: 42.

([2]) روح المعاني للألوسي، مرجع سابق، ج16، ص: 550.

([3]) البحر المحيط لأبي حيان، تفسير آية {مثلهم كمثل الذي استوقد نارا}، جـ1، ص122.

([4]) مريم: 43.

([5]) مريم: 44.

الدلالة على الطريق السوي ...ثم ثلث بنهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي عصى الرحمن الذي جميع النعم منه أوقعك في عبادة الصنم وزينها لك فأنت عابده في الحقيقة، ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال مع مراعاة الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به وأن العذاب لاصق به بل قال: أخاف أن يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كأنه قال: إني أخاف أن يصيبك من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب في نفسه[1].

و كما استخدم نبي الله إبراهيم تكرار النداء مع أبيه في دعوته استخدمه في دعاء ربه وترجيه وهو في مقام الخضوع لله تعالى في قوله: {**ربنَا إِني أَسكَنْتُ مِن ذُريتِي بِوادٍ غَير ذِي زرعٍ**}[2] فخاطب ربه بأمر هو أعلم به منه مثل قول أم مريم عليها السلام: { **رب إِني وضعتُها أُنْثَى**}[3]، قال الألوسي: "وناداه بلفظ الرب مضافاً إليه، لما في ذلك من تلطف السؤال والنداء بالوصف الدال على قبول السائل وإجابة ضراعته"[4].

ثم كرره في قوله: { **ربنَا لِيقِيمُوا الصلَاةَ**}[5]، {**ربنَا إِنك تَعلَمُ ما نُخْفِي وما نُعلِن**ُ }[6]، قال أبو حيان رحمه الله تعالى: "كرر النداء رغبة في الإجابة وإظهاراً للتذلل"[7].

وبعكس قصد إبراهيم عليه السلام في دعائه نجد كليم الله موسى استخدم تكرار النداء في الدعوة على قومه لما بالغ عليه السلام في إظهار المعجزات وإقامة

([1]) تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ص675، الطبعة الأولى، 1421، دار المعرفة، اعتنى به عبد المجيد طعمه حلبي، ص 675..

([2]) إبراهيم: 37.

([3]) آل عمران: 36.

([4]) روح المعاني للألوسي، مرجع سابق، الجزء الحادي عشر، ص5.

([5]) إبراهيم: 37.

([6]) إبراهيم: 38.

([7]) البحر المحيط، جـ6، ص: 120.

الحجج البينات ولم يكن لذلك تأثير فيمن أرسل إليهم دعا عليهم بعد أن بـين سـبب إصرارهم على الكفر وتمسكهم بالجحود والعناد فقال مبينا للسبب أولا: {**ربنـا إنـك آتيتَ فرعون وملأَهُ زينَةً** }، ثم ثنا بالدعوة عليهم فقال: { **ربنا ليُضلوا عن سـبيلك ربنَا اطْمِس على أموالِهم واشدُد على قلُوبِهم فلا يُؤْمِنُـوا حتـى يـروُا العـذَاب الأليم**}[1]، وفي هذا نكتة بديعة وهو أن الرسل إنما بعثوا رحمة للعالمين ومبـشرين للناس، فلما قوبل موسى عليه السلام بالعتو والفساد لم يجد بدا من الـدعاء علـيهم فذكر سبب الدعوة عليهم مبررا لها.

قال العلامة الشوكاني رحمه ا : "وقد استشكل بعض أهل العلم ما في هـذه الآية من الدعاء على هؤلاء وقال: إن الرسل إنما تطلب هدايـة قـومهم وإيمـانهم وأجيب بأنه لا يجوز لنبي أن يدعو على قومه إلا بإذن ا سبحانه وإنما يـأذن ا بذلك لعلمه بأنه ليس فيهم من يؤمن"[2].

و بمثل قصد موسى عليه السلام دعا نوح ربه بعدما لبث فيهم ألف سـنة إلا خمسين عاما، يبين لهم الحجج كما في قوله: {**ألم تَروا كيفَ خَلَقَ ا سبع سـمواتٍ طِباقًا**}[3] وقوله: {**وا جعلَ لكُمُ الأرض بِساطًا**}[4]، فلم ييئس منهم قال داعيا ربـه: {[**وقَالَ نُوح رب لَا تَذَر علَى الأرض مِن الكَافِرِين ديارًا** (26) **إنك إن تَذَرهُم يُضِلوا عِبادك ولَا يلِدُوا إلا فَاجِرًا كفارًا**}[5]، وبخلاف دعوة موسى عليه السلام نجد أن نوحا عليه السلام قدم الدعوة ثم أخر علتها، وعلل الزمخشري رحمه ا تعـالى دعوتـه على قومه بقوله: "فإن قلت: بم علم أن أولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عنـد الولادة ؟ قلت: لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فذاقهم وأكلهم وعرف طبـاعهم وأحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه ويقول: احذر هذا فإنه كذاب وإن أبـي

([1]) يونس: 88.

([2]) فتح القدير، للشوكاني. مرجع سابق، (م2|655-666).

([3]) نوح: 15.

([4]) نوح: 19.

([5]) نوح: 26-27.

حذرنيه، فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك، وقد أخبره ا وجل: { **أنـهُ لـن يُؤْمِن مِن قَومِك إِلا من قَد آمن** }"(1).

وإذا كان رسل الإنس قد استعملوا هذا الأسلوب في الدعوة فقد استعمله رسل الجن كما نقل القرآن ذلك عنهم في قوله تعالى: { **يا قَومنَا إِنا سمِعنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِن بعدِ موسى**...} (2) الآيات، فاستخدموا أسلوب الإخبار في بداية الأمر ثم تحولوا منه إلى الأمر والتحضيض على اتباع الحق ثم تحولوا إلى التهديد بالعذاب ولا يخفى ما في هذا من الترتيب المنطقي لكيفية الدعوة إلى ا عز وجل.

يقول سيد قطب رحمه ا تعالى: "فهي تكملة طبيعية لنذارة النفر لقومهم فقد دعوهم إلى الاستجابة والإيمان . فالاحتمال قوي وراجح أن يبينـوا لهـم أن عـدم الاستجابة وخيم العاقبة . وأن الذي لا يستجيب لا يعجز ا أن يأتي به ويوقع عليـه الجزاء . ويذيقه العذاب الأليم؛ فلا يجد له من دون ا أولياء ينصرونه أو يعينونه . وأن هؤلاء المعرضين ضالون ضلالاً بيناً عن الصراط المستقيم" .

4. 5 حذف آيات النداء في السور المكية.

قد تعرض للإنسان في كلامه أمور تستدعي الاختصار وتلخيص العبارة إما لأن المقام لا يحتمل التطويل، أو لإظهار معنى بلاغي، ومثل ذلك كثير في اللغة العربية وذلك كقوله تعالى: {**إِنا قَد أُوحِي إِلَينَا أَن العذَاب علَى من كَذب وتَولى** (48) **قَالَ فَمن ربكُما يا موسى**}(3)، وتقدير الكلام في غير القرءان فذهبا إليه فأخبراه فقال لهما ما قال، ومثل ذلك قوله تعالى: {**فَإِن خِفْتُم فَرِجالًا أَو ركْبانًا** }(4) أي فإن خفتم أن يغشوكم بالقتال فصلوا رجالا أو ركبانا، وقوله تعالى: {**فَأَوحينَا إِلَى موسى أَنِ اضرِب بِعصاك البحر فَانْفَلَقَ فَكَان كُلُّ فِرقٍ كَالطَّودِ العظِيمِ**}(5)، التقدير في غير كلام

([1]) الكشاف، للزمخشري، مرجع سابق. جـ39، ص: 60. والآية من هود: 36.

([2]) الأحقاف: 30.

([3]) طه: 48-49.

([4]) البقرة: 239.

([5]) الشعراء: 63.

ا فضربه فانفلق فكان كالطود، ومما استعمله القرآن كأسلوب بلاغي في باب النداء في السور المكية حذف أداة النداء والاكتفاء بالمنادى مجردا عن الأداة، أو حذف المنادى وترك أداة النداء، وهذا شائع في اللغة العربية.

فمن الأول قول الشاعر:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

و التقدير يا أيها الرجل، ومثال الثاني قول الشاعر[1]:

ألا يا اسلمي يا دار مي علي البلى ولازال منهلا بجرعائك القطر

و لا بد من الإشارة هنا لمسألة وهي أنه عند حذف الأداة لا يقدر منها غير الياء فقط لأنها أم الباب كما سبقت الإشارة إليه.قال ابن عاشور:"و(يا) حرف للنداء وهو أكثر حروف النداء استعمالاً فهو أصل حروف النداء ولذاك لا يقدر غيره عند حذف حرف النداء ولكونه أصلاً كان مشتركاً لنداء القريب والبعيد كما في القاموس"[2].

وقد ورد من ذلك في القرآن الشيء الكثير، فمن حذف حرف النداء قوله تعالى: {**يُوسُفُ أَيها الصديقُ..**}[3]، وقوله تعالى: {**يُوسُفُ أَعرض عن هذَا**}[4]، وقوله تعالى: {**ربنَا إِنكَ آتَيتَ فِرعون وملأهُ زِينَةً** }[5]، وقوله تعالى: {**وتُوبُوا إِلى ا _ جمِيعًا أَيها المُؤْمِنُون لعلكُم تُفْلِحُون**}[6]، وقوله تعالى: {**فَيقُولَ رب لَولا أَخرتَنِي إِلى أَجلٍ قَرِيبٍ** }[7]، وقوله تعالى: {**ربنَا ظَلَمنَا أَنْفُسنَا وإِن لَم تَغْفِر لنَا وتَرحمنَا لنَكُونَن مِن الخَاسِرِين**}[8]، وقوله تعالى: